يا عمال العالم اتحدوا!

الاربعاء ١٥ تشرين الأول ١٩٩٧ الصفحة ١٦

## مناشدة المحتاجين بتلقي التطعيم الخاص قبل فصل الشتاء

● الناصرة – مكتب «الاتحاد» – آمال شحادة – توجه د. سلمان زرقا، مدير دائرة الصحة اللوائية في حيفا، الى المواطنين الذين يعانون من مشاكل في الجهاز الوقائي أو الاورام الخبيثة لتلقي التطعيم الخاص لهم مع اقتراب فصلي الخريف والشتاء.

وقال د. زرقا ان التهاب الرئتين الناتج عن جرثومة البنويمو كوكوس، يكثر في فصلي الخريف والشتاء، وقد يؤدي الى الحمى والرجفة والسعال والتقيؤ وآلام في الصدر وصعوبة في التنفس.

وترتفع نسبة الوفيات جراء هذا المرض خاصة عند المسنين. وأضاف د. زرقا: يعطى التطعيم ضد المرضى لكل من تجاوز الـ (٦٠) من العمر وما فوق وكل من يعاني من امراض مزمنة دون اية علاقة بعمره وكل من يقيم في مؤسسات المسنين والذين يعانون من مشاكل في الجهاز الوقائي (مثلا استؤصل من جسمه الطحال او من يتعاطى ادوية قد تضر بالجهاز الوقائي والذين يعانون من الاورام الخبيثة. ولهذه المجموعات هناك حاجة لتلقي التطعيم مرة ثانية بعد مرور (٦) سنوات من موعد تلقي التطعيم في المرة الاولى.

*خلال زيارته للقرية*

## نتنياهو يعلن عن اقامة لجنة لتحويل قلنسوة الى مدينة

● قلنسوة – من صائب ناطور – قام رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو بزيارة قرية قلنسوة برفقة وزيري السياحة موشيه كتساب والداخلية الياهو سويسا.

وأعلن نتنياهو عن اقامة لجنة تعمل لتحويل قلنسوة الى مدينة.

وقام نتنياهو والوفد المرافق بجولة في انحاء القرية للاطلاع عن كثب على واقعها، خاصة المنطقة التي نكبت بالفيضانات في الشتاء الماضي.

وطالب رئيس المجلس المحلي يوسف تكروري بتطوير جهاز التعليم ودعم مشروعي وادي الاسكندر ووادي المقابر لمنع تكرار الفيضانات ودعم مشاريع كثيرة أخرى وبالاعلان عن قلنسوة مدينة.

وأعلن وزير الداخلية عن منح قلنسوة مبلغ مليون شيكل لدعم التطوير فيها.

وأكد وزير السياحة ان الفيضانات لن تعود الى قلنسوة. وحيى المواطنين العرب بسبب «اخلاصهم للدولة وكونهم جسرا للسلام مع العالم العربي»، لكنه انتقد الوفد الذي «زار سوريا لانه لم يمثل الدولة»!

هذا ومنح رئيس المجلس المحلي رئيس الحكومة بواسطة شرف وسلمه مفاتيح القرية.



### الحزب الشيوعي الاسرائيلي – منطقة البطوف

ندعو بهذا اعضاء لجنة المنطقة واعضاء لجنة المراقبة المنطقية واعضاء اللجان المحلية لفروع الحزب الى حضور اجتماع نشيطي المنطقة وذلك يوم غد الخميس ١٦/١٠/٩٧ الساعة السادسة مساء في نادي اميل توما في سخنين.

نقاط البحث:

* المستجدات على الساحة السياسية (السكرتير العام للحزب)
* العمل البلدي (رئيس مجلس كوكب ابو الهيجا المحلي)
* انتخابات الهستدروت (سكرتير مجلس عمال سخنين)
* متفرقات وامور تنظيمية للفرع – عمر سعدي

الحضور هام وضروري!

مع الاحترام – سكرتارية المنطقة

● حيفا – مكتب «الاتحاد» – دعت «لجنة الاربعين»، اعضاء الكنيست ورؤساء سلطات محلية عربية، والهيئات الشعبية والسياسية العربية، واليهودية التقدمية، الى مساندة ومؤازرة أهالي قرية عين حوض، في تصديهم لقرار اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء – حيفا، هدم احد منازل القرية بحجة البناء غير المرخص.

وأشار رئيس «لجنة الاربعين» محمد ابو الهيجاء في رسائل وجهها الى هذه الشخصيات والهيئات، الى قيام رئيس اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء – حيفا، كوبلمان باصدار امر هدم اداري لبيت المواطن زكريا ابو الهيجاء، رغم رفض رئيس اللجنة المحلية للتنظيم والبناء – حوف هكرمل، اصدار مثل هذا الامر، كون البيت المذكور يقع في وسط القرية وضمن مسطح الخارطة المقترحة للقرية، والتي كانت اقرتها لجنة التنظيم المحلية وحولتها الى اللجنة اللوائية مع توصية بالمصادقة عليها.

وكان محامي «لجنة الاربعين» ايهاب حسن، تقدم بطلب الى محكمة الصلح في حيفا في اذار المنصرم، طالباً باسم موكله الغاء امر الهدم او تجميده، الى حين البث في قضية الخارطة الهيكلية للقرية، التي تعيق لجنة التنظيم اللوائية المصادق عليها. الا ان طلبه رفض، فاستأنف الى المحكمة المركزية، التي رفضت هي الأخرى الطلب في جلستها من يوم ٩/١٠/٩٧، الامر الذي يتيح للجنة التنظيم اللوائية تنفيذ امر الهدم.

وأشار رئيس «لجنة الاربعين»، في رسائله، اي ان صاحب البيت زكريا ابو الهيجاء، اضطر للبناء غير المرخص، نتيجة معاناة طويلة فرضتها ظروف السكن المزرية، حيث كان يعيش مع والدته واخوته وزوجته في غرفتين فقط، الامر الذي اضطره، جراء المماطلة باقرار خارطة قريته، الى بناء بيت مستقل.

ودعا ابو الهيجاء الهيئات والشخصيات العربية واليهودية، الى العمل لمنع تنفيذ امر الهدم، والتدخل لدى السلطات المسؤولة لتسريع المصادقة على خارطة القرية، لتمكين عشرات الازواج الشابة من بناء بيوتهم ومستقبلهم في قريتهم.

### ● سعد وسليم يطالبان الوزير بالتدخل ●

وابرق النائبان د. أحمد سعد وصالح سليم (الجبهة والتجمع) أمس، الثلاثاء، الى وزير الداخلية الياهو سويسا، مطالبين اياه، بمنع تنفيذ أمر الهدم، ومنح ترخيص لصاحب البيت لتمكينه من العيش في ظروف انسانية ملائمة

وقال سعد في برقيته، ان زكريا ابو الهيجاء كغيره من عشرات ابناء القرى التي اعترف بها مؤخراً، وتلك التي لم يعترف بها بعد، ليست لديهم هواية او ميل لخرق القوانين والبناء بشكل غير مرخص، بل ان الظروف السكنية وغير الانسانية، التي يواجهونها من جهة، ومماطلة السلطات المختصة بتنفيذ مشاريع البنى التحتية في هذه القرى وانهاء تخطيطها، تضطرهم الى البناء غير المرخص، لمواجهة ضوائقهم السكنية.

وأكد سعد، ان بيت زكريا المزمع هدمه، لا يشكل اي عقبة على التخطيط الحالي او المستقبلي للقرية، داعياً الوزير الى منع تنفيذ امر الهدم والتعجيل في انهاء خارطة القرية والمصادقة عليها.

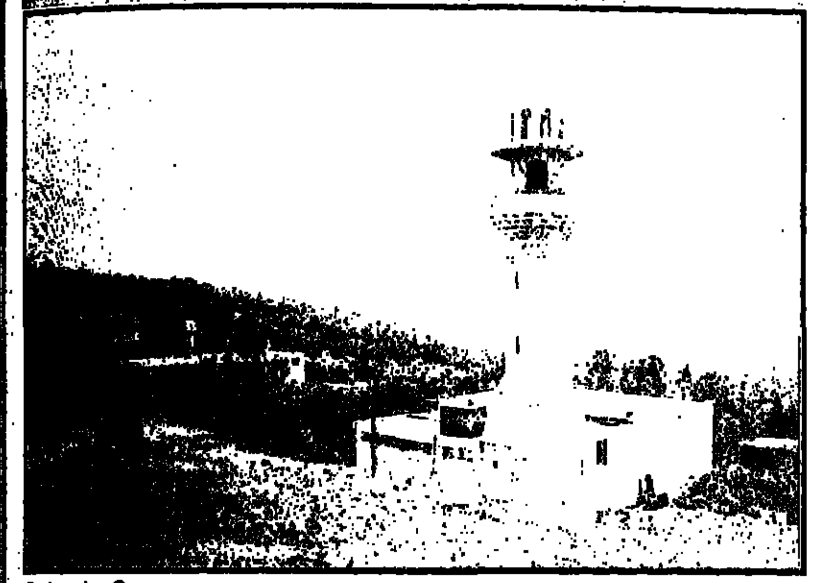
وأشار النائب سليم الى الضائقة الاسكانية التي عاشها زكريا مع عائلته، واضطراره الى البناء المستقل بعد زواجه، وقال ان هدم البيت سيحمل المعاناة للعائلة الشابة وسيخلفها بدون سقف يحميها، خاصة واننا على ابواب فصل الشتاء.

وطالب سليم الوزير ببذل جهوده لوقف امر الهدم.

### ● اورون يصل الى القرية متضامنا ●

على الصعيد نفسه، وصل الى قرية عين حوض أمس، الثلاثاء، النائب حاييم اورون (ميرتس) متضامناً مع الاهالي، حيث اجتمع مع بعضهم بحضور رئيس وطاقم «لجنة الاربعين» وتباحثوا في الامر.

وقال رئيس «لجنة الاربعين»، ورئيس اللجنة المحلية في عين حوض، محمد ابو الهيجاء، ان الاهالي يؤكدون حقهم بالبناء والعيش على اراضيهم، ويطالبون السلطات المختصة بتسريع المصادقة على خارطة القرية، كما كانت اقرتها لجنة التنظيم المحلية – حوف هكرمل، والتي تضم مساحة (١٧٠) دونماً كانت اقرتها الحكومة السابقة. ودعا ابو الهيجاء وزير الداخلية الى منع تنفيذ امر الهدم وتسريع انهاء الخارطة والمصادقة عليها، منعاً لاستمرار معاناة الاهالي.



● عين حوض ●

*في ابوسنان*

## طفل في الرابعة احترق حتى الموت في سيارة والده

● عكا – مكتب «الاتحاد» – احترق حتى الموت مساء أمس الأول، الطفل أمير ناصيف مشلب (٤) سنوات، من قرية أبوسنان وشيع قبل ظهر أمس الثلاثاء الى مثواه الأخير.

وأصيب والد الطفل بحروق وهو يحاول انقاذ أمير من السيارة التي اندلعت فيها النيران، ونقل الى مستشفى نهريا للعلاج.

ووقع الحادث المفجع بعد عودة العائلة الى البيت. لقد أوقف ناصيف السيارة التي كان يقودها في ساحة البيت وأبقى أمير فيها لأنه حمل ابنا اخر له أحس بوعكة وأدخله الى البيت. ولم يكد يضع ابنه في فراشه ويغطيه، خلال ثلاث دقائق، واذ بصراخ في الخارج، هرول وذهل لما رآه، لقد كانت النيران تلتهم السيارة وأمير بداخلها وبمساعدة صهره، حاولا اطفاء النيران. وأخرج ناصيف ابنه أمير من السيارة محروقا وفي حالة يرثى لها.

ورغم أصابته بحروق وهو يحاول انقاذ ابنه، قاد ناصيف سيارة ناقلا ابنه الى مستشفى نهريا. وبعد تقديم العلاجات الأولية اللازمة، نقل أمير الى مستشفى «رمبام» في حيفا.

ورغم محاولة الاطباء انقاذ حياته الا ان الموت كان أقوى واختطف أمير من ذويه فجر أمس الثلاثاء.

وقال ضابط مركز شرطة عكا «الكوبي دانييل» «للاتحاد»، ان التحقيقات الأولية وفحص السيارة تبين ان تماسا كهربائيا حدث فيها بقوة. وكان الطفل نائماً، لذلك لا يوجد أي شك أنه عبث بشيء ما ادى الى اندلاع النيران.

وأشار الكوبي الى ان الشرطة ارسلت فور ابلاغها بالنبأ طاقم انقاذ لكن ذلك كان متأخراً لأن الوالد أخرج ابنه من السيارة خلال دقائق رغم شدة النيران.

وناشد الكوبي جميع الآباء بالانتباه جيدا وعدم ترك الاطفال في السيارات ولو للحظات.

هذا، وخرج الاب الثاكل من المستشفى للمشاركة في تشييع جثمان ابنه، ثم عاد الى المستشفى للعلاج!



ملحق

الجمعة ١٧ تشرين الاول ١٩٩٧

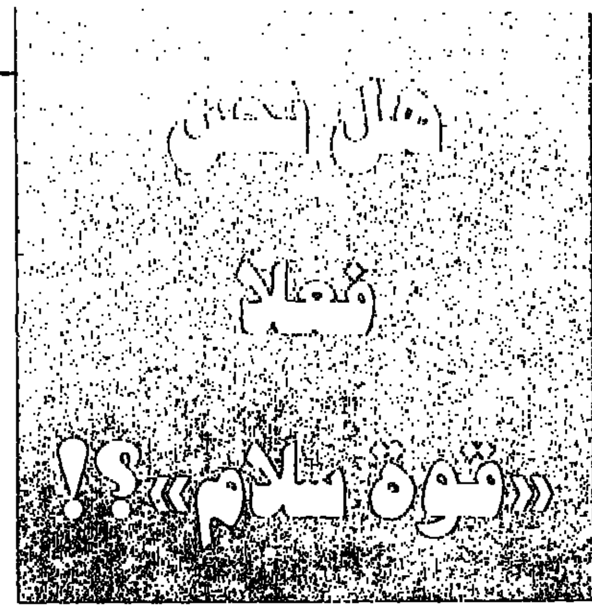
عثمان، علي وعمر فاحتجان لكن البشاشة لا تفارق الوجوه

طوني بلير، واكبر تغيير في الدستور البريطاني منذ ٣ سنة

الكاتبة فريدة النقاش تتحدث لـ«الاتحاد» عن تجربة فريدة لصالح قضية المرأة




# عرب النقب..مأساة حقيقية!




الجماهير العربية الفلسطينية في اسرائيل، تعتبر طول عمرها، واحدة من قوى السلام الاساسية في اسرائيل.

هكذا كنا نقول دائما. وهكذا نقول، جميعا، اليوم. وحتى عندما لم تكن قوى السلام اليهودية تعترف بنا، كنا نصر على اننا ركن اساسي من اركان قوى السلام والى جانب معاركنا من اجل السلام ناضلنا حتى تعترف بنا تلك القوى. وطالبنا بان نشارك باستمرار في نضالاتها الى جانب نضالاتنا، ودخلنا معارك حتى يوافقوا على ذلك. وكانوا يوافقون ثم يتراجعون وفي النهاية، لم تعد تلك مشكلة كبيرة واصبحوا يعترفون بنا. ويرحبون بمشاركتنا، خصوصا بعد انتخاب نتنياهو. والاشكالات والعقبات على طريق المشاركة الفعلية والتامة بين العرب وبين قوى السلام الاسرائيلية، لم تعد ذات وزن حاسم.

ونقول نحن من دعامات قوى السلام في اسرائيل، استنادا الى التاريخ السياسي لجماهيرنا وهو تاريخ عريق وغني. بدأ منذ عملية البقاء والصمود واستمر عشرات السنين. وتجلى عندما استندت حكومة رابين على قوتنا البرلمانية من اجل تمرير اتفاقيات اوسلو. وما زال قائما حتى اليوم.

ولكن، هل من ممارسة جماهيرية يومية لنا، تدل على اننا فعالون في المعركة من اجل السلام؟

الجواب على هذا السؤال سلبي للاسف.

فما يميز دورنا كقوة سلام حاليا يقتصر على نشاطات محدودة تتمثل فيما يلي:

– الاعتماد على الاحزاب السياسية في النشاط البرلماني واليومي. وفي هذا المجال كل الاحزاب والكتل البرلمانية والنواب العرب يقومون بدور ملموس.

يطرحون الابحاث والاستجوابات ويشاركون في الجلسات ويقاطعون ويبرزون موقفا مضادا لموقف الحكومة ويتعاونون مع لعبة قوى المعارضة. ويتضامنون مع السلطة الوطنية الفلسطينية:

– هنالك دور مميز للجبهة والحزب الشيوعي، من خلال حركات السلام القائمة. فالجبهة ممثلة فيها. وتشارك في نشاطاتها، وتبادر الى نشاطات باسمها. وتقوم بنشاطات جماهيرية في اطار مظاهرات رفع الشعارات الاسبوعية تقريبا. ويجندون الهستدروت الى نشاطات في هذا المجال مثل التعاون مع النقابات الفلسطينية واقامة الندوات والمحاضرات وتصدر البيانات بمثابرة.

ولكن، الجماهير العربية، كقطاعات سكانية او حتى كافراد، هل تفعل شيئا في اطار نشاط قوة السلام؟

كلا، هنالك نقص كبير، بل النشاط الجماهيري الفعال للمواطنين العرب في اسرائيل في معركة السلام، يكاد يكون معدوما.

فنحن لا نشارك.

المظاهرة القطرية من اجل السلام، التي اقيمت في تل ابيب، في الشهر الماضي– كانت بتنظيم – يهودي عربي. والخطابات فيها القيت بالعبرية وبالعربية. لكن مشاركة الجماهير العربية، التي زادت عن اية مرة سابقة في مظاهرات تل ابيب، لم تكن ملائمة لوزننا النوعي في صفوف قوى السلام وكان محدودا.

والمشكلة الاكبر هي في النشاط الفردي.

فنحن لا يوجد لدينا تقليد ان نقوم بنشاط فردي من اجل السلام. لا يقوم كل فرد منا في الصباح ويسأل نفسه: «ماذا فعلت انا، الشخص، الفرد، في المعركة من اجل السلام»؟!

ومن الممكن ان يطرح السؤال ايضا بالنسبة لاهداف مبدئية اخرى، عامة وخاصة، مثل قضية الارض او قضية المساواة او قضية التعليم او قضية حقوق المرأة او قضية مكافحة العنف ضد المستضعفين (المرأة، الاولاد، الاطفال، المسنين او قضية مستقبل اولادي).. الخ.

لكننا نركز على قضية السلام، باعتبارها قضيتنا المصيرية في هذه البلاد.. فان لم نخلق تقليدا جماعيا من النشاط الفردي في معركة السلام، سنكون جزءا من اسباب فشلها ان فشلت وسنكون هامشيين فيها ان هي نجحت.

وليس من هذا الباب فحسب، بل من باب آخر يمكننا تسميته «الشعور بالمسؤولية» او «الناحية الضميرية» او «المسؤولية الوطنية»... فكلها مجتمعة، وكل واحدة منها على حدة، تصلح لتكون سببا كافيا يجعل كل فرد يعمل عملا شخصيا في سبيل معركة السلام. وهناك الكثير من الاعمال التي يمكن القيام بها من دون تكلفة مالية ومن دون اضاعة الكثير من الوقت، ويستطيع القيام بها كل واحد منا.. حسب امكاناته.

على سبيل المثال:

– رسالة للصحف: الصحف عموما في اسرائيل مليئة برسائل القراء. هناك زاوية ثابتة يومية في الصحف العبرية قلما نقرأ فيها رسالة من قارئ عربي.

هذا، على الرغم من ان هناك قضايا كثيرة يمكن ان يكون لنا فيها رأي، بحاجة الى تمريره للشارع الاسرائيلي.

ولكن، ليس فقط للصحافة العبرية. فالصحافة العربية ايضا تفتقر الى رسائل القراء ذات الاسهامات المؤثرة.

يمكن ان تكون الرسالة تعبيرا عن موقف سياسي او انتقادا لموقف مسؤول حكومي او معارض او تكون شكلا من اشكال خطابنا الى الرأي العام اليهودي، وليس بالضرورة في القضية السياسية.

مثلا؟!

لقد تاثرنا جميعا من قضية تبرع عائلة كفيه اليهودية باعضاء جسد ابنها المرحوم يوفتال الذي قتل في حادث دهس مأساوي مؤسف. نتيجة لهذا التبرع انقذت حياة طفلتين عربيتين وطفل ثالث يهودي. ولا بد ان كل واحد منا ذرف ولو دمعة واحدة تاثرا من اللقاء بين والدتي الطفل اليهودي والطفلة العربية.

بعد يومين فقط حدث امر معاكس. امرأة عربية قتلت في حادث فتبرعت عائلتها باعضاء جسدها. وانقذت حياة ثلاثة اشخاص بينهم يهوديان.

نحن نأسف اولا على الحوادث التي أدت الى القتل. ولا نريد ان يكون نموذج التعايش بين الشعبين.

ولا علاقة لنا نحن به. بل نحن نشارك الاهل الالم والعزاء. ولذلك ندرك كم هو كبير وجبار المعنى الانساني والحضاري لقرار تلك العائلات وهي في قمة مأساتها، ان تتبرع باعضاء جسد عزيزها او عزيزتها وتعلن ان لا فرق لديها بين عربي ويهودي.

في ظروف عادية لا يوجد في هذا التصرف اي شيء غريب. لكن في ظروف بلادنا، في ظروف التراجع الخطير في العملية السلمية والاعتداءات الفظة على هذه العملية، في ظروف سفك الدماء المتواصل من الشعبين، في ظروف الاحتلال والاستيطان، في ظروف انتشار العديد من المظاهر العنصرية الفظة والخطيرة، يعتبر ذلك التصرف شيئا خارقا في انسانيته وحضاريته.

فلو وصلت رسالتنا هذه الى قراء الصحف العبرية، نكون قد حققنا شيئا ما، خطوة صغيرة في طريق المليون ميل، لكنها مفيدة. ونحن مستعدون، بالطبع، ان ننشر ونشرنا في صحيفتنا، الكثير من الرسائل التي وصلت وتصل الينا باقلام قراء مواطنين يهود.

وهناك اساليب اخرى من العمل الفردي ممكنة:

– كتابة رسالة الى رئيس الحكومة او الى رئيس الدولة او الوزراء وغيرهم من المسؤولين.

وهذا الاقتراح نقتبسه من منشور لحركات السلام في اسرائيل التي توجهت الى المواطنين اليهود طالبة منهم ايضا القيام بعمل فردي لمصلحة المعركة من اجل السلام. وتقول في المنشور: «رسالة واحدة يمكن ان لا تؤثر، بامكان المسؤولين تجاهلها. لكن اذا وصلت الوف الرسائل، لا بد انها تؤثر، على الاقل لا يمكن تجاهلها».

– التبرع بالمال. هناك عدة قوى تعمل بشكل مثابر من اجل السلام. انت لا تستطيع المشاركة مباشرة، فلا بأس، شارك من بعيد. ارسل تبرعا بقيمة خمسين شيكلا او عشرة شواكل او الف شيكل، حسب مقدرتك. وكل كلمة تشجيع حلوة لمن يقومون بهذه النشاطات فالتشجيع مهم جدا. انه يقوي نشاطهم.

– سمعت عن مظاهرة، ندوة، اجتماع شعبي احتجاجي محاضرة. اذهب وشارك. لا تستطيع؟ ادع غيرك ان يشارك. لا تريد؟ حسنا على الاقل، ايد من بعيد. بارك. لا تقل ان «كل هذا حكي فاضي» لماذا قلنا جميعا انه «حكي فاضي» سيصبح بالتاكيد «حكي فاضي» ولكن اذا قلنا جميعا انه «مش حكي فاضي»، سنجده على حقيقته.. مؤثرا ومفيدا.

– في منشور حركات السلام المذكور ورد اقتراح جميل اخر. نتبناه هنا، بلا تحفظ.

يقول: اكتب كلمة الاحتجاج على كل مراسلة بينك وبين دائرة حكومية (ورقة ضريبة، حسابات الخ..).

على سبيل المثال اكتب: «انني ادفع هذا المبلغ، لكنني اعارض في ان يستعمل لتمويل البناء في المستوطنات»، او انا لست مستعدا ان تضيع اموال الضرائب التي ادفعها، بسبب سياسة الحكومة الحمقاء، او اي نص اخر. هنا ايضا يمكن القول انهم يستطيعون تجاهل ورقة ورقتين كتبت عليها هذه الكلمات الاحتجاجية. لكنهم لا يستطيعون تجاهل الوف الاوراق.

المجال واسع جدا امام اقتراحات العمل الفردي. بل انه يمكن ان يكون احد مجالات الابداع، الذي يخترع فيه كل واحد اسلوبا خاصا يعبر فيه عن نفسه ويكون له فيه دور.

المعلم في المدرسة، يمكنه الابداع في تشجيع طلابه على حب السلام وعمل شيء من اجله. وهذه مهمة مسؤول الفعاليات اللامنهجية، او مربي الصف، او معلم المدنيات.. الخ..

ومجلس الطلاب ولجان الصفوف والطلاب الطلائعيون بامكانهم ايضا القيام بنشاطات مميزة..

جمهور مباريات كرة القدم وكرة السلة.. وغيرهما من انواع الرياضة يستطيع المساهمة في هذه العملية.. كأن يحمل في المباراة شعارا ينادي بالسلام العادل.. او بالمساواة.. او بالتعايش السلمي.

يمكن للفنانين ايضا ان يؤدوا دورا. فان لم يغنوا للسلام يستطيع الواحد منهم ان يفتتح مسرحيته او حفلته بكلمة، بشعار.. بمقطع تمثيلي قصير هادف.. حول قضية السلام.

كل واحد منا، في مجاله، يستطيع عمل شيء، العامل، الصحفي، التاجر، الموظف، المدير، الطبيب، الممرض، الطالب الجامعي، المحاضر.. كل واحد ذكورا واناثا.

وبهذا لا نخدم قضية السلام ونضيق الخناق على اعداء السلام فحسب، بل ننمي في مجتمعنا روح المشاركة، ونكافح اللامبالاة والجلوس على الجدار. ننمي روح العطاء والتفاني ونكافح الانتهازية والاتكالية.

ومجتمعنا يعاني من نواقص في هذه المجالات، خصوصا في وسط الاجيال الشابة.



# مرة اخرى.. ملف الارض


● يوم الأرض ١٩٩٧ في سخنين – هل «يوم الأرض الأكبر» أمامنا؟! ●

# المخطط السري لنهب الارض العربية ما بين التكتم والصمت!

*** قبل حوالي شهر كشف مدير عام مكتب رئيس الحكومة: هناك مخطط «لوقف سرقة العرب لارض الدولة» * المدير هدد وتوعد واتهم.. وأدان * الاطراف المرتبطة تتكتم وترفض الكشف عن تفاصيل.. لكنها لا تنفي * اما المؤسسات التمثيلية العربية والحركات السياسية والجمعيات الاهلية فلا تزال صامتة * بعد كل سنوات التمييز والمصادرة: اتهام للعرب بالسرقة رغم انه منذ الخمسينات تقلصت ارض العرب باكثر من (٦) مرات ***

*** تقرير: هشام نفاع ***

* هذا الموضوع يمكن التحدث عنه بلغة الروايات البوليسية او قصص التجسس والمخابرات. فالمخفي فيه يفوق المعروف والمعلن وكل المرتبطين به يتحدثون بانصاف جمل، يميزها الابهام واللهجة السرية.

والحديث ليس عن عملية عسكرية، ولا خطة تجسس، وحتى انها ليست عملية بوليسية بالمعنى البسيط للكلمة. بل انه عن مخطط حكومي رسمي يجري العمل عليه وصياغته في ارفع المكاتب الحكومية، ويتولى مسؤوليته المباشرة، مدير عام مكتب رئيس الحكومة افيغدور ليبرمان، الذي حظي بلقب «مدير عام الدولة»، ربما للتدليل على القوة والنفوذ الواسعين اللذين يتمتع بهما، وربما للسخرية والهزء.. ولكن المخطط الذي يشرف عليه في الخفاء ابعد ما يكون عن السخرية. والسبب هو الاخطار التي يجسدها، والتي عبر عنها ليبرمان بنفسه في تصريحات تناقلتها وسائل الاعلام، ولم يقم بنفيها او التطرق اليها ولو بكلمة.

المخطط يسمى حسب المصطلحات الرسمية «الدفاع عن اراضي الدولة». وقد تطوع المدير العام واعطاه تفسيرا محددا، لا يختلف كثيرا عن المصطلح الرسمي من حيث التوجه ولكنه وضعه في السياق الذي يلائمه. والاسم الذي اطلقه عليه ليس اقل من «وقف سرقة العرب لاراضي الدولة»!

## * خلفية واضحة لمخطط اقل وضوحا *

في مطلع شهر ايلول الفائت، خرج المدير العام المذكور بالتصريحات التالية: «العرب سرقوا (٢,٨) مليون دونم من اراضي الدولة».

«يجب حث مؤسسات الاستيطان على مساعدة مواطنين يهود على اقامة مزارع ودفيئات على اراضي الدولة، حتى نمنع العرب من سرقتها».

«بامكان الدولة وضع حد لسرقة الارض. ونحن سنضع الحد».

واختتم بالمقولة الاستراتيجية، التي تذكر بالنقاش حول حرب النجوم او توازن الرعب النووي، فقال: «علينا مباشرة العمل بسرعة حتى نعيد لانفسنا قدرة الردع التي فقدناها».

والمهم في تلك التصريحات انها كشفت لاول مرة خطة عينية جديدة، قد تبلورت او قيد المصادقة، هدفها الواضح اطلاق ايدي المصادرة والخنق.. ليس ان هذه العملية «الطلائعية» توقفت مرة، ولكن الخطر انها ستشهد تسارعا جديا وخطيرا. والا كيف يمكن تفسير لهجة التهديد والوعيد، والتوجه المليء بالعدائية، والتي لم يتورع فيها احد اصحاب ارفع المناصب الوظائفية في الدولة عن اعلانها على الملأ.. دون تفسير ودون تبرير.. بل فقط بغية افهام «الاعداء» ما يمكن ان يحدث لهم.

والحقيقة هي ان الاغراء كبير في مقارنة هذه الخطة، بخطة «يسرائيل كنغ» المشهورة منذ السبعينات والتي عبرت عن فكر كامل متكامل، وتوجه متبلور للتشديد على حياة الاقلية العربية في البلاد، والسيطرة عليها، بل ادارتها بما يشبه جهاز التحكم عن بعد. فذلك المخطط الذي ادى الى هبة شعبية من الجليل حتى النقب مرورا بالمثلث، لم يبغ السيطرة الفعلية المباشرة على التواجد العربي، فحسب، بل ذهب الى اقتراحات ابعد، ان كان من حيث المجالات التي طالها او النتائج المستقبلية المرجوة. فلقد تحدث المخططون حينذاك عن تحديد نسبة الاكاديميين، وحصر اهتماماتهم ومجال دراستهم في المجالات التقنية، وخلق اقطاب تحد من المد السياسي التقدمي والوطني.

اما اليوم فيعود الينا التوجه نفسه ولكن بشكل سري جدا، بعيدا عن العيون، ولكن بلهجة عنيفة تهديدية، تملؤها الاتهامات بالسرقة بقمة البساطة. وانعدام التفاصيل يصعب المقارنة الدقيقة والعلمية بين مخططي كنغ وليبرمان!

وهنا، يجب ايراد ما نستخلصه من معطيات، تعبر عنها الابحاث والاحصائيات في المصادر المختلفة، وبالذات حول موضوع سرقة الارض، وتحديد الشبهة حول هوية السارق، وهذا لا يحتاج للعودة الى ما قبل تاريخ الدولة. بل سنوات الخمسينات فقط. ففي مطلع ذلك العقد امتلك العرب (٢٠٠ الف نسمة) نحو خمسة ملايين دونم من الاراضي. اما اليوم فلا يملك حوالي المليون مواطن عربي اكثر من (٨٠٠) الف دونم.

ولا حاجة للتوضيح اكثر. نسبة العرب ازدادت، وهذا هو النمو الطبيعي الحقيقي! ولكن الاراضي تقلصت بنسبة تزيد عن (٦) مرات.. وما يملكه العربي نظريا اليوم بالمعدل لا يزيد عن الدونم. وبالطبع فان النمو الطبيعي

سيتواصل، ولكن الارض لا تتسع ولا تكبر.. بالضبط مثلما ان الخمسة ملايين دونم لم تبتلعها الارض منذ الخمسينات حتى اليوم.. وهنا يجب التفكير بهوية السارق وملامح ضحية السرقة..

## انكار مطبق!

بعد نشر ما اعلنه ليبرمان، وحديثه الصريح عن المخطط، الذي تتولاه لجنة المديرين العامين، المؤلفة من مديري كافة الوزارات وتعمل مباشرة الى جانب رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، رد مكتب ليبرمان على توجه «الاتحاد» بالتأتأة.. وقد استمر هذا «العجز التعبيري» حتى هذا الاسبوع، وفي كافة المحاولات لتقصي الحقائق والمعلومات اختفت كافة الحقائق بشكل مفاجىء وبدون تفسير..

وهذا ما قاله في حينه في ضوء الكشف ، مركز لجنة المديرين العامين، الموظف في مكتب ليبرمان ويدعى غرشون هردمان: «ليس هناك مخطط بل هناك معطيات يجري اعدادها والعمل عليها».

* «الاتحاد»: ولكن المدير العام تحدث صراحة عن المخطط، واتهم العرب بسرقة ملايين الدونمات!

– هردمان: هناك مشكلة.. فأرض الدولة تجري السيطرة عليها بشكل غير قانوني، ويجب مكافحة هذا الوضع. وهناك ابحاث تجري في اطار مشترك يضم «الدوريات الخضراء» (التابعة لوزارة الزراعة،

## اسلوبان لاجبار المسؤولين على الكشف: الكنيست او التماس للعليا..

والمشهورة بملاحقة عرب النقب) و«دائرة اراضي اسرائيل» ولجنة المديرين العامين.. وفي هذا الاطار هناك العديد من الافكار والمقترحات التي يجري التطرق اليها..

* «الاتحاد»: هذا يختلف عما كشفه ليبرمان.

– هيردمان: هذا غير مكتوب في أي تلخيص لاي بحث او اجتماع. انا لا اعرف بخصوص ما قاله المدير العام، لان هناك مؤسسات تهتم بهذه الامور.

* «الاتحاد»: ليبرمان تحدث ايضا عن (٢٠) الف بيت عربي بدون ترخيص وهدد بهدمها.

– هيردمان: النية لدينا هي العمل حسب القانون وتطبيقه، واذا قررت المحكمة هدم احد البيوت فيجب تطبيق قرارها.

* «الاتحاد»: وما هي المعطيات بحوزتكم حول عدد البيوت؟

– هيردمان: هذا قيد الفحص. والمشكلة قائمة منذ سنوات. لا اعتقد اننا سنرمي الناس من بيوتها الى الشوارع، ولكني لا اعرف كافة التفاصيل.

* «الاتحاد»: المدير العام تحدث عن (٢٠) الف بيت..

– هيردمان: لا اعرف المصدر لهذا.. وفي النهاية الرقم يستند الى ما نشر في الصحافة، وهذا غير جدّي..

* «الاتحاد»: هل الهم انك تتهم الصحافة؟

– هيردمان: من حق الصحافة ان تكتب كما تشاء، ولكن هذا لا يصيب الحقيقة..

* «الاتحاد»: حتى الآن لم تنف وجود مخطط ما، ان كان قيد البحث او قد جرت بلورته؟

– هيردمان: برأيي انه عندما تبلور كافة المقترحات، فستعلن عنها. وبالطبع لن يتصرف احد بشكل متسرع، وسيجري بحث كافة الجوانب القانونية والوضع القائم على الارض.

هذه كانت اقوال مركز لجنة المديرين العامين. لم ينف. ولكنه لم يؤكد ايضا. لم يقدم معطيات ولم يحدد التوجه القائم.. ونفس الامر لعله ليبرمان فيما بعد فقد رفض عدة مرات التحدث عن الموضوع، رغم الطلبات الرسمية باجراء مقابلات معه، او الاستماع الى موقفه.

## * الاطراف الاخرى: نفس الموقف *

في مكتب لجنة المديرين «نصحونا» بالتوجه الى دائرة اراضي اسرائيل و«الدوريات الخضراء».. ولكن الوضع لم يزدد الا غموضا، وبالتالي، اشتباها!

ففي «الدوريات الخضراء»، التي كان مركزها في النقب، غلعاد غباي، خارج مكتبه يعني בשטח (في الميدان)، كان الرد قصيرا جدا: «نحن لا نقرر السياسة بل ننفذها فقط» – هكذا قال.

وعندما سألناه، اذا كان هذا هو التعقيب الاخير، اكتفى بالقول «هذا حتى ليس تعقيبا.. هناك سلطة حماية الطبيعة وفقط هي يمكنها التعقيب».

وفي السلطة اتضح ايضا – حسب ادعاء الناطقة بلسانها – انها تنفيذية فقط. ولا علاقة لها بالقرارات، وهذا خلافا للمصدر الرسمي في مكتب لجنة المديرين العامين، الذي اكد ان بحث المقترحات وصياغة التوجه يجري بمشاركتها.

فقد نقلت الناطقة عن مدير السلطة الرد التالي: «الدوريات الخضراء تعمل في الرقابة على تطبيق القانون. نحن لا نحدد السياسة، ولسنا جزءا من بلورة المخطط» – اذا هناك مخطط حسب هذه الاقوال، ولكن بدون تفاصيل!



● مخطط لوقف «سرقة» العرب لأرض الدولة! – (في الصورة مزارعون عرب في احدى الأراضي البالية)●

ولكن في «دائرة اراضي اسرائيل» الوضع مختلف. فعندما ابلغنا الناطقة بلسانها، بالموضوع الذي نستفسر عنه قالت فورا: لا ادري اذا كان هناك مخطط، ولكن هناك مواد معينة.

اما ما جاء في الرد الرسمي بعد ساعات، كما اوردته الناطقة حجيت اراد، فيختلف بعض الشيء، وهو كالتالي: «دائرة اراضي اسرائيل لا تعلم بوجود مخطط وليس هناك اية مواد مبلورة يمكن الاشارة اليها. وبالنسبة لاقوال السيد ليبرمان لا نعرف ما المقصود، ويمكن ان تسألوه».

وبعد ان اكدنا اننا سألنا في مكتبه، ووجهونا الى عدة عناوين ومنها «الدائرة»، قالوا لا نعرف.

والمقترحات؟ سألنا.. فاجابوا: «كلا لا توجد قرارات ولا مقترحات»!

## «دائرة اراضي اسرائيل».. اعتراف جزئي ثم انكار!

المخطط في مطلع ايلول كالتالي: «ان المطلع على ما يجري يكتشف ان السطو الاكبر على الارض قد حدث في الماضي ولا يزال مستمرا، والدولة هي الساطي والسارق». وقد تحدث سبان في مقالة نشرها في حينه عن المصادرة، خاصة في النقب، وعن اقامة بلدات يهودية عليها، وعن مخطط خنق التجمعات العربية والبدوية.

وتساءل: «باسم اي تسويغ يبرر ليبرمان سياسة، تقوم الدولة بحسبها باقامة مزارع لافراد يهود، في حين ان عشرات العائلات البدوية تعيش على حالة الجوع في نفس المكان الجغرافي! وربما يجب على ليبرمان ان يتعلم من تجربة يسرائيل كنيغ، قائمقام لواء الشمال في فترة يوم الارض (١٩٧٦). فقد اقترح كنيغ في حينه مخططا، العديد من اجزائه تطابق، بشكل مثير للاستغراب، مخطط ليبرمان».. واختتم سبان بالقول: «ان سرقة الارض الكبرى، اذا، من ورائنا. فهل يوم الارض الاكبر لا يزال امامنا؟».

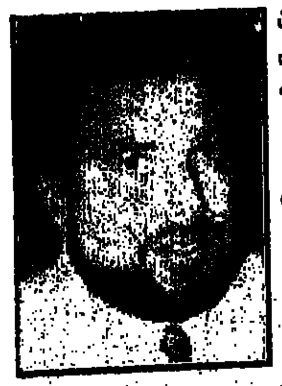
هذا الاسبوع قال سبان لـ «الاتحاد»، ان عدم الكشف عن المخطط وكل ما يرتبط به يشكل عمليا اخفاء، حقائق هامة عن الجمهور. وهناك وسائل قضائية وبرلمانية لاجبار المسؤولين على كشفها.

وهنا، يتبين ان المسؤولين يرفضون الرد على كافة التوجهات. ففي رسالة بعثت بها المحامية دانا الكسندر من «جمعية حقوق المواطن» طلبت الاطلاع على تفاصيل تتعلق بما صرح به ليبرمان ولكن الرد الحكومي جاء بعد اسبوعين انهم «لا يعتقدون انها لها الصلاحية بالاطلاع على التفاصيل»!

اذن، هناك اسباب كافية تجعل المسؤولين يتصرفون بالسر، وراء الكواليس، وبعيدا عن اعين الجمهور، وبعيدا عن اية رقابة.. ولكن هناك وسائل عدة لالزام المسؤولين بكشف ما يخلونه عن المجتمع وخاصة عمّن ترتبط القضية بهم وبمصالحهم مباشرة. هناك الطرق البرلمانية، عبر التوجه الرسمي لاعضاء الكنيست الى مكتب رئيس الحكومة، والى عدد من الوزراء.. وهناك ايضا الاسلوب القضائي عبر التماس الى المحكمة العليا، يلزم الدولة بكشف ما تبحثه وتبلوره. خاصة وان الحديث لا يدور – كما ذكر – عن مسائل امنية وعسكرية.. رغم انه لا يمكن الامتناع عن التفكير بذلك «الاعتبار الامني» الذي يسبق كل مخطط حكومي يكون موضوعه العرب او الارض!

## مكتب رئيس الحكومة لـ «الاتحاد»: لا توجد طريقة للكشف عن تفاصيل!

## * عودة الى ليبرمان! *



* ليبرمان *

هذا الاسبوع ايضا رفض ليبرمان التحدث.. وحتى ان التعقيب الذي طلبناه على عدد من النقاط، جاء عاما فضفاضا لا يكشف شيئا، ولكنه لا ينفي شيئا ايضا..

فالاسئلة كانت كالتالي: هل هناك مخطط رسمي؟ او قرارات متعلقة بالموضوع؟ وهل يمكن الاطلاع عليها؟ – وهذا ما قاله المستشار الاعلامي في مكتب رئيس الحكومة شاي بزاك: «المدير العام غير معني بالتحدث حول الموضوع».

* «الاتحاد»: وماذا تقولون انتم رسميا اذن؟

– بزاك: انا لا اعرف الموضوع.

* «الاتحاد»: ولكنكم عمليا لا تنفون.

– بزاك: السيد ليبرمان لا يريد التطرق..

* «الاتحاد»: تعلم ان معلومات معينة قد نشرت سابقا؟

– بزاك: نحن لم نعلق.

* «الاتحاد»: هل تقول عمليا انه لا توجد طريقة للتأكد ومعرفة ما يحدث؟

– بزاك: صحيح، لا توجد طريقة!

## * اخفاء حقائق *

المحاضر في كلية القانون – جامعة حيفا، ايلان سبان، متخصص في مسألة قوانين الاراضي. وقد كان تعليقه فور الكشف عن

## * خلاصة صعبة *

ليست الشكوك وحدها حول المخاطر التي ينطوي عليها المخطط الحكومي، هي التي تجعل اي استنتاج يخرج به الواحد صعبا، بل هناك الرد الضعيف والضحل والذي لا يلائم خطورة الامر، الذي لمسناه حتى الان. ان كان من المؤسسات التمثيلية للجماهير العربية، او الحركات السياسية، او كافة الجمعيات والاطر الاهلية والشعبية الفاعلة في مجالات القضاء والتخطيط والتطوير. وكأنه لا يكفي كل التمييز لعشرات السنوات، حتى يحاك الان مخطط في الظلام وسط صمت غريب، يجب كسره باسرع وقت ممكن.. بل فورا!



# [illegible]

*** خمسون طفلا لفتيات عربيات من النقب يعيشون بالتبني لدى عائلات يهودية، لانهن حملن بهم اما بعد عملية اغتصاب او خلال علاقة خارج اطار الزواج! ومنذ مطلع السنة قتلت (٧) نساء وفتيات على خلفية ما يسمى «شرف العائلة»! ***

*** تقرير: آمال شحادة ***

«والوضع في النقب مثل برميل بارود، من الممكن ان ينفجر في اية لحظة.. وعواقبه ستكون صعبة.. اكثر بكثير مما هو عليه الوضع اليوم».

هكذا يرى العامل الاجتماعي خيري الباز، المسؤول الاجتماعي في القرى غير المعترف بها في النقب والعشائر البدوية، كعشيرتي عرعرة وشقيب السلام وغيرهما.

اليوم وقد بدأ العد التنازلي ونحن نقترب من العام «٢٠٠٠» وحيث التحضيرات والاستعدادات على قدم وساق لتحويل بعض المناطق في دولة اسرائيل الى مراكز احتفال عالمية بهذه السنة نجد في هذه الدولة، قرابة مئة الف انسان، يعيشون حياة قاسية، لا تتوفر فيها ادنى الخدمات الضرورية، فالوضع الاجتماعي صعب والتخلف لا يزال يسيطر في معظم المناطق والوضع التعليمي في تراجع مستمر، ونسب الطلاب الذين ينهون الثانوية والحاصلين على شهادات البجروت والملتحقين في الجامعات اقل النسب في البلاد، والوضع الصحي لا يختلف كثيرا، بل انه اخطر من ذلك، فنجد نسبة وفيات الاطفال من اعلى النسب في العالم.. والعنف.. الذي ينتج عن مجمل هذه المشاكل اخذ بالانتشار.. فالمرأة والفتاة ممنوعتان، غالبا، من الخروج من البيت او حدود العشيرة، وممنوع ان يعملن او يخرجن الى العمل.. والويل لمن تخالف الاوامر.. العنف داخل العائلة اخذ بالارتفاع.. وحالات الاغتصاب ايضا. والقتل على ما يسمى «شرف العائلة»، فمنذ مطلع هذه السنة، قتلت سبع فتيات ونساء بهذه الحجة، وهناك بعض الحالات لم يعلن عنها. فالضحية تموت ويموت سرها معها.. ولا احد يعلم سوى المجرم وافراد عائلتها.

هذه الظاهرة التي اصبحت مقلقة لم تذهب ضحيتها فتيات فحسب انما واطفال ولدوا بعد الحمل نتيجة عملية اغتصاب او خلال علاقة غير معروفة لاحد بين فتيات وشباب عرب او يهود. ولغياب الوعي عند الفتيات بضرورة التوجه الى الطبيب في الوقت المناسب الذي يمكن فيه من اجراء عملية اجهاض ولافتقار تلك المنطقة للجمعيات الخاصة لعلاج الفتيات ضحايا الاغتصاب وغيرهن، نجد ان هناك اكثر من خمسين طفلا لفتيات عربيات من النقب يعيشون لدى عائلات يهودية بالتبني ومعظمهم يعيشون في منطقة القدس. وتصل الفتاة الى هذا الوضع، كما قال لنا العامل الاجتماعي خيري الباز، «لان اي حل اخر قد يكشف وضعها ويؤدي الى قتلها بالتالي».

طبيب الاطفال، خليل ابو بدر، الذي اجرى عدة ابحاث ودراسات حول الوضع الصحي في النقب وكان مطلعا على مثل هذه الحالات يقول: «للاسف بعض هذه الحالات تصل الى هذا الوضع نتيجة الجهل عند الفتيات والخوف من كشف الفضيحة، فاحيانا تحمل الفتاة من علاقة مع صديق لها وهناك فتيات يقعن ضحايا للاغتصاب من داخل العشيرة او خارجها، ومع انها ضحية لكنها تتعامل مع نفسها – حتى هي – وكأنها مجرمة، وذلك بسبب العقلية المتخلفة المسيطرة على المنطقة. فهناك من تحاول الانتحار للتخلص من هذه المشكلة، ولعدم وعي الفتاة حول امكانية الاجهاض في الوقت المناسب او ربما خوفا من كشف امرها، تصل الى وضع لا يمكنها فيه فعل اي شيء لتغيير الوضع. فتخفي امرها عن العائلة باللباس الفضفاض وعندما تصل الى وضع الانجاب، تبقى في المستشفى بحجة ظروف صحية اخرى»

هذا الوضع يعكس حقيقة تجعل المرء، احيانا، يستصعب تصديق اننا على ابواب القرن الواحد والعشرين. وعندما انطلقنا لاعداد هذا التقرير عن هذه القضية، وجدنا كل من التقيناه يربط بشكل مباشر ما بين هذه المشكلة وكافة المشاكل الاخرى التي يعاني منها عرب النقب والتي نجدها في كافة مجالات الحياة اليومية.

والسؤال:

كيف يمكن ان نصل لمثل هذا الوضع؟

اهي سياسة الحكومة وحدها!.. ام عقلية المجتمع الرجولي؟! ام انه كما قيل لنا ان بعض الظواهر جاءت نتيجة «التمدن والتحضر وتغيير نمط الحياة اليومية»؟

الاسئلة المطروحة كثيرة.. اجوبتها موجودة.. لكن الحلول صعبة.. وربما تحققها لا يزال بعيدا جدا.

في العام ١٩٤٨ هاجر وهُجّر حوالي ٥٠ الف نسمة من السكان البدو في النقب الى الأردن، وبقي منهم ٧٠ الفا بدات معركة معاناتهم في الحياة اليومية في كافة المجالات، وبشكل خاص في معركة البقاء، والارض فقد حاولت الحكومة، بعدة طرق ترحيلهم لكنها لم تفلح، ولما يئس وجدت سبيلا الى ترحيلهم عن عاداتهم وتقاليدهم، باقامة قرى خاصة لهم، وكان ذلك في العام ١٩٦٩ وكان اولها قرية تل السبع. ثم صادرت الحكومة بحجة اقامة مطار تل الملح واراضي بمساحة (٥٥) الف دونم، ورفضوا مغادرة الارض واقاموا الخيم والبراكيات.. ولم تتوقف المعركة، فعدد السكان ارتفع .. والعالم تقدم وتطور وباتت الحاجيات اليومية ضرورية لكنها لم تتوفر، الامر الذي قيد من تطور وتقدم عرب النقب.. وحتى هذه الايام تضعهم الحكومة في برامجها وميزانياتها وتخطيطاتها في قاع سلم اولوياتها وقد يكونون منسيين في اغلب الاحيان.

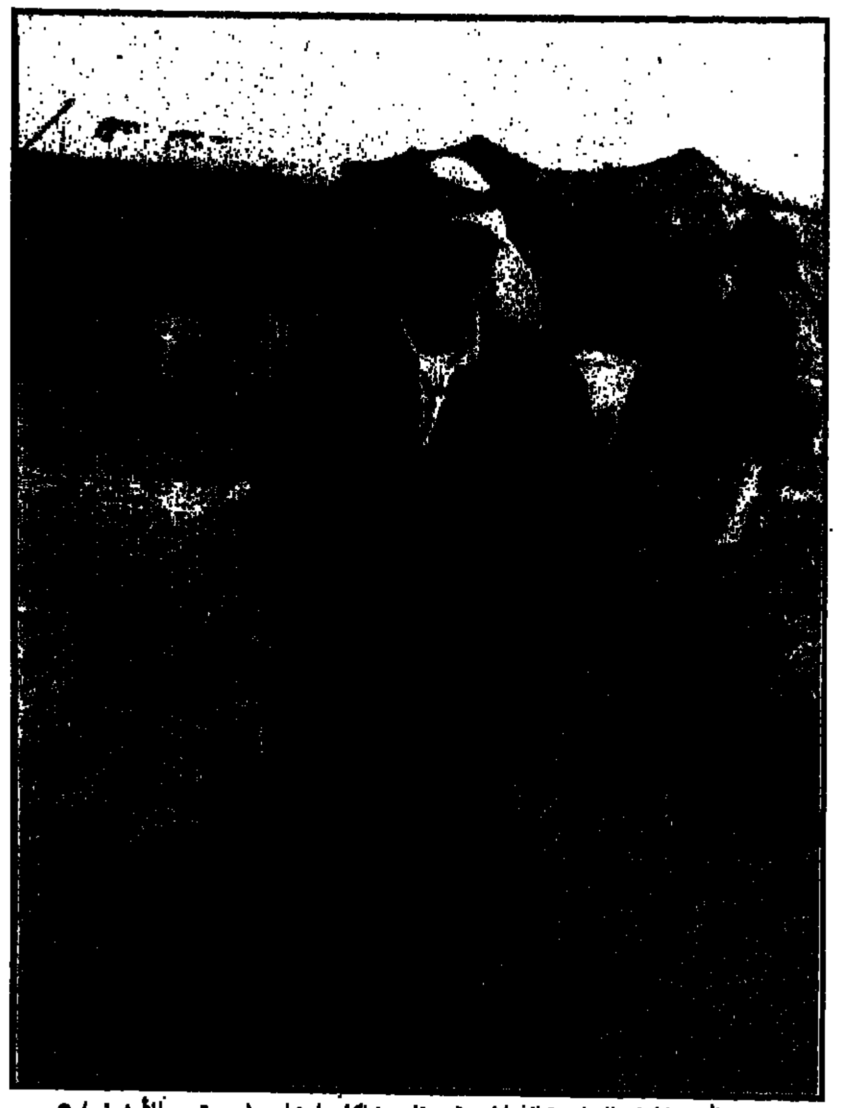
*** (١٠٠) الف عربي في النقب و(١٠) عمال اجتماعيين فقط يستعملون سيارة «جيب» واحدة للتنقل بين القرى. بينما النسبة في البلاد هي عامل اجتماعي لكل (٢٠٠٠) نسمة. وفي حالات خاصة ترتفع النسبة كثيرا كما حدث لدى الاهتمام بالقادمين الجدد! ***

وفي استعراضنا لمجمل القضايا والمشاكل وجدنا ان النساء، وبشكل خاص الفتيات والاطفال والشباب، هم اكثر الضحايا، ومستقبلهم في خطر مؤكد اذا لم توجد الحلول السريعة لمشاكلهم وقضاياهم.

العامل الاجتماعي خيري الباز الذي يواجه يوميا مشاكل ابناء بلدته والمناطق المحيطة بها، يرى ان هناك اسبابا خاصة بالسكان اوصلت الوضع الى ما هو عليه، ولكن

*** ٨٠٪ من المناطق السكانية بدون مراكز طبية، والمراكز الطبية لا يوجد فيها اطباء متخصصون! لا يوجد معلمون مؤهلون في المدارس! – لان الحكومة تريد «التوفير» في المصاريف! ***

ويرى الباز ان المشكلة الاجتماعية بدأت منذ ان انتقل السكان من حياة التنقل والخيم الى البيوت، وقال: كان من المفروض ان يرافق المواطنين عمال اجتماعيون حتى يستوعبوا التغيير الكبير بين نمطي



● الانتقال من الحياة التقليدية الى الحديثة.. خلق مشاكل، ايضا – (صورة من الأرشيف) ●

كما قال: سياسة الحكومة المتبعة تجاهنا هي السبب الاساسي لهذه الوضعية، فالوضع الاقتصادي الصعب الذي تعيشه العائلة العربية في النقب، وعدم توفر اماكن عمل وزيادة نسبة البطالة، حيث تصل اعلى من المعدل العام في الدولة، كل ذلك يؤدي الى مشاكل عائلية صعبة والميزانيات التي توفرها الحكومة في مختلف المجالات هي شبه معدومة، خذي مثلا في مجال عملي، الخدمات الاجتماعية، فلمئة الف نسمة هناك سيارة واحدة، وهي سيارة «جيب» يستعملها العامل الاجتماعي الذي يتوجه لزيارة العائلات المحتاجة، ويعمل عند عشرة عمال اجتماعيين فقط مع ان المعدل العام هو عامل اجتماعي لكل الفي نسمة، اي اننا بحاجة الى خمسين عاملا اجتماعيا حسب هذا المعدل، واذا ما استعرضنا المشاكل الاجتماعية الصعبة والقاسية نجد ان الضرورة تحتم وجود اكثر من عامل اجتماعي لكل الفي شخص.

والى جانب هذا فالميزانيات المقدمة من وزارة العمل والرفاه الاجتماعي لا تكفي لحي واحد في بئر السبع.

**نسبة وفيات الاطفال من اعلى النسب في العالم: (٢٢) حالة وفاة لكل الف طفل. وتساوي (٣) اضعاف النسبة لدى الاطفال اليهود! وترتفع اكثر في جيل سنة - اربع سنوات لتصل الى (٥) اضعافها لدى اولاد عمنا! ***

الحياة الجديدة والقديمة، وهذا لم يكن، كما شاهدنا مثلا لدى الطواقم الضخمة من العمال الاجتماعيين اليهود الذين رافقوا القادمين الجدد من الروس والاثيوبيين وغيرهم. وما جرى عندنا من تغيير سريع ادى الى مشاكل في عدة مجالات منها وضع المرأة والشباب فاليوم نجد ان النظرة للحياة عند الشباب والشابات تختلف عنها لدى الوالدين والجدين، وهذا ما لم يستوعب بعد وفي احيان كثيرة يؤدي الى قتل امراة او فتاة على خلفية ما يسمى «شرف العائلة» لمجرد انها تمردت وخرجت للعمل او انها اختارت التعليم الجامعي واصبح لديها صديق فلمجرد ان يكون لها صديق فقد اصبحت ساقطة ويجب قتلها .

اما عن انتشار العنف داخل العائلة، فيقول الباز ان انتقال المرأة الى بيت لا يوجد فيه عمل في رعاية الغنم وصنع النسيج والخيم وغيرها جعلها شبه عاطلة عن العمل ولا تقدم اي دخل للعائلة فهذا زاد من الصعوبات الاقتصادية وبات الرجل وحيدا في تحمل عبء المصاريف والتكاليف مما يزيد من عصبيته التي يفرغها بالمرأة.

السيدة امنة الصانع رئيسة جمعية «سدرة» النسائية، والتي تنشط جمعيتها بين النساء في مختلف المناطق في النقب تقول: التغيير الاجتماعي والاقتصادي وعملية الانتقال من حياة الترحال والبداوة الى حياة الاستقرار والتجمع السكاني المبني على اسس غير صحيحة، اسفر عن نتائج سلبية كبيرة كانت ضحيتها النساء بشكل خاص.

فالتغيير لم يغير من العقلية القبلية والعشائرية ونظرة الرجل للمرأة، وسوء الاوضاع الاقتصادية ادى بالمرأة الى الخروج للعمل والاختلاط، وعقليتنا العربية مختلفة وتطبق الشرف على المرأة فقط وتنسى مفهوم الشرف الحقيقي.

(البقية ص١٦)

# عمّان "الفوق"



● احد القصور الملكية يحتل التل كله ●

# وعمّان "التحت"

# والبشاشة التي على وجوه الناس!

** انطباعات من زيارة الى الاردن: كل ما يميز عواصم العالم من ضجيج وازدحام وكثافة سكانية وتلوث بيئي لا تجده في عمان. صور الملك في كل مكان. القصور الملكية كالواحة في الصحراء. اوضاع اقتصادية صعبة جدا لكن هناك البسمة وحسن الضيافة.

** معطيات احصائية مختلفة عن سكان الاردن، ونماذج عينية عن اوضاع الناس. وقبل كل ذلك اعرفوا ان التعليمات التي تعطى للسائح الاسرائيلي قبل دخول الاردن تبدأ هكذا: تذكر انك اسرائيلي في خطر!

تقرير وتصوير : ميسون اسدي

انها زيارتي الاولى لهذه البلاد الصغيرة، والتي لن تكون الاخيرة بفعل الاثر الذي تركته على نفسي.. واصارحكم القول باني كنت دائما لا احبذ فكرة السفر الى الاردن، وكانت لدي افكار مسبقة تأكدت من بعضها خلال زيارتي الخاطفة هذه، لكن الصورة اختلفت كثيرا عندما شاهدت الامور على ارض الواقع، ووعدت نفسي بان ازور الاردن كلما سنحت لي الفرصة..

ضجيج السيارات.. الزحمة.. الكثافة السكانية.. التلوث البيئي، وكل ما يميز عواصم العالم، لا تجده في العاصمة عمان، فالهدوء يسيطر على المكان ومساحات شاسعة بين كثير من البيوت غير مسكونة، السائقون يسيرون الهوينا، النقاء يملأ الجو، والقناعة تسكن في قلوب الناس.

وسرعان ما ترى ان الشعب الاردني يمتاز بالكرم وحسن الضيافة رغم الفقر الذي يحتل نسبة عريضة منه، وقد يحدث عندما تسال عن اجرة التاكسي، ان يقول لك السائق: خليها علينا!

اما اباريق القهوة السادة والحلوة فقد تجدها على جنبات شوارع رئيسية كثيرة وكانها تقول «اهلا وسهلا» وتستوقف السائق لاحتساء فنجان قهوة «على الماشي».

## تواضع ملك!

هناك انطباع عن الملك حسين انه من الزعماء العرب الاكثر تواضعا في معاملته مع ابناء شعبه، والاكثر التصاقا به، والاحزاب على جميع اختلافها تحافظ على علاقة ود بينها وبين الملك لكن يبقى «الملك هو الملك»، فمعظم شوارع عمان سميت على اسم الملك وآل الملك، ذكورا واناثا.. وصور الملك بجميع فترات حياته حتى الان، صغيرا وكبيرا، مع ذقن وبدون ذقن، مع كوفية وبدون كوفية، صور كثيرة وشعارات بالخط العريض تمجد الملك تجدها في كل مكان، حتى في الحوانيت والمقاهي والاماكن السياحية.

يشاع ان الملك رفض تمثالا نحت خصيصا له بمناسبة عيد ميلاده لانه يرفض فكرة تقديسه.. لكن شعار «الله الوطن .. الملك الحسين اغلى ما نملك» هو الذي يستقبلك ويرسخ في ذاكرتك كعابر سبيل.

## دولة صغيرة الحجم ..والسن

عدد سكان الاردن لا يتعدى ال (٤) ملايين نسمة بكثير، (٨٠٪) من اراضيها صحراوية، وفقط (٢٠٪) اراض مستغلة زراعيا وسكانيا، (١٣٪) منها ماهولة و (٧٪) مزروعة.

وتقسم الاردن الى محافظات، عمان وتعداد سكانها مليون و (٣٥٠) الف نسمة، اربد في الشمال، (٧٠٠-٨٠٠) الف نسمة، الزرقاء، نصف مليون نسمة، وغيرها من المحافظات كجرش وعجلون والرمثة.

عدد العاملين في الاردن يصل الى ٣٣٪ من اجمالي السكان. والثلثان الباقيان نصفهما طلاب في المدارس والجامعات والنصف الاخر ربات بيوت.. وفي الاردن (١٩) جامعة، (٧) منها حكومية والباقية اهلية، والجامعة رقم (٢٠) ما زالت في مراحل البناء.

وما زالت الاردن بحاجة لعدد اكبر من الجامعات لتخريج عدد كبير من الايدي العاملة، الفنية والتقنية المتعلمة، وتصديرها بالتالي الى الدول العربية للعمل هناك.. وتعتبر الاردن دولة فتية، حيث ان ٥٥٪ من ابنائها هم دون سن ال (٤٠)، وفي نفس الوقت هي دولة فقيرة من حيث الموارد الطبيعية، ورغم فقرها الا انها تضاهي الدول الاوروبية بمستشفياتها المتطورة.. وقد تتفوق عليها، احيانا!

## فوق فوق وتحت تحت

مثل الكثير من الدول النامية، تمتاز الاردن اما بالغنى الفاحش او بالفقر المدقع، والطبقة الوسطى التي تتآكل مع الزمن آخذة في الذوبان.

على سبيل المثال اجرة سائق التاكسي بين (٣٠) الى (٤٠) دينار شهريا يدفع منها (١٨) دينارا لصاحب التاكسي، و (٥) دنانير مقابل الوقود وما تبقى له، واذا لا سمح الله تلقى مخالفة سير فانه يخرج من «المولد بلا حمص».

الشحاذون في عمان القديمة، معظمهم مسنون، يجلسون على قارعة الطريق ويبيعون بعض الامور التي بالكاد تسد رمق صاحبها اذا حدث وباع مشطا، او عود الرائحة المعطرة، او امورا صغيرة ثمنها باخس جدا.

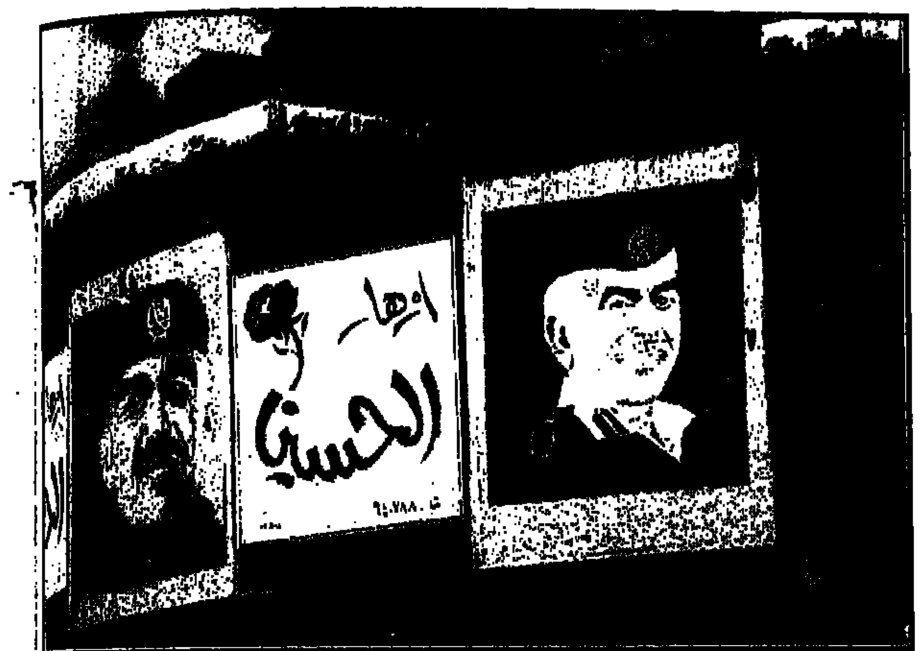
من خلال حديثي مع الناس عرفت ان اسعار الحاجيات في ارتفاع مطرد بينما المعاشات «مكانك سر»، وعلى سبيل المثال يصل راتب الموظف الأكاديمي الى (١٢٠) دينارا شهريا.. لكن الاطعمة لما زالت رخيصة نسبيا، وبالنسبة للسائح فهي رخيصة جدا.

وخلال كل ذلك تلاحظ ان الهروب الى الدين هو احد انعكاسات الاوضاع الاقتصادية المتردية، وترى عشرات الشباب والكبار متجمهرين امام المساجد بظروف اجتماعية صعبة «مسلمين امرهم لله».

←



● متسول يبيع مشطا للشعر في البلدة القديمة



● صور الحسين منتشرة في كل زاوية

### تذكر انك اسرائيلي في خطر

التعليمات التي تعطى للسائح الاسرائيلي قبل دخوله الى الاردن والموجهة اكثر لليهود منهم، تعطي فكرة وكأن السائح الاسرائيلي موضع خطر دائم في الاردن، وانه غير مرغوب فيه كثيرا، وان الارهاب يترصد له في كل زاوية، فتحت عنوان «ارشادات امنية للزائر الاسرائيلي» وزع علينا كراس باللغة العبرية، جاء فيه ما يلي:

(صورة بدوي يطحن البن بالجرن وبجانبه اباريق نحاسية)

١- كن يقظا لما يجري حولك، انتبه لكل تصرف غريب، ناس شاذين او اغراض مشبوهة.

٢- من المفضل تخطيط جولتك حسب المناطق السياحية المعترف بها.

٣- امتنع عن الدخول الى المناطق التي تثير المشاكل، مثل المخيمات الفلسطينية في عمان واربد والزرقاء ولا تقترب من المساجد وقت الصلاة وخاصة مسجد الحسين.

٤- لا تتنزه ليلا في المناطق السياحية، الا برفقة مرشدين سياحيين محليين. التنزه بمجموعات وليس فرادى.

٥- ابلغ الشرطة اذا اردت التنزه في اماكن خاصة.

٦- اذا صادفتك مشاكل، توجه الى الشرطة الاردنية او الى السفارة الاسرائيلية.

٧- امتنع عن الكلام باللغة العبرية في الشارع او الفندق.

٨- لا تبرز كونك يهوديا او اسرائيليا.

٩- عند شرائك للحاجيات، تاكد انك اخذت ما اشتريت وانها رزمت امامك.

١٠- يجب المحافظة في لباس النساء.

١١- لا تتجول عند حدود الاردن وفي صحرائها، خاصة في المناطق المجاورة للدول العربية.

.. وعشرات التحذيرات الاخرى التي تتعلق بالنزول في الفندق والتهيؤ للحالات الطارئة والتنقل في المواصلات الجماهيرية، وغيرها وغيرها من اجل امان السائح الاسرائيلي!!

بالمناسبة لم اصادف اية مشكلة تتعلق بالتحذيرات التي قرأتها، ربما لاني عربية فلسطينية وقد تنقلت لوحدي في شوارع عمان حتى في ساعات المساء، ذهبت الى المخيمات الفلسطينية، زلهمت حتى بنطلونا قصيرا.. وعدت وكلي رغبة في البقاء اكثر او العودة القريبة لزيارة هذا البلد الجميل.



● ممنوع للاسرائيلي الاقتراب من الجوامع ●

### المرأة الاردنية لا تغادر البلاد الا باذن زوجها!

مثل معظم الدول العربية، ما زالت المرأة الاردنية ممنوعة من مغادرة الدولة الا باذن زوجها، وهناك امور اخرى يفرضها المجتمع الاردني، غير مكتوبة، لكنها متفق عليها ضمنا، مثل عدم جلوس المرأة بجانب سائق التاكسي في المقعد الامامي، عدم جلوس شاب وشابة لوحدهما في المقعد الخلفي، اذا قبل شاب فتاة في المقعد الخلفي حتى لو كانت خطيبته فقد ياخذهما السائق الى اقرب مركز شرطة.. ممنوع تركيب جهاز تسجيل في التاكسي، والمخالف يعاقب ب (٥) دنانير، وعندما استوضحت عن هذا الامر، قيل لي ان الشابات يطلبن الاستماع الى اغاني واشرطة غير مراقبة من الدولة لذلك منعت اجهزة التسجيل وتم الاكتفاء بالراديو وما يشبه!

### القصور وما ادراك ما القصور!

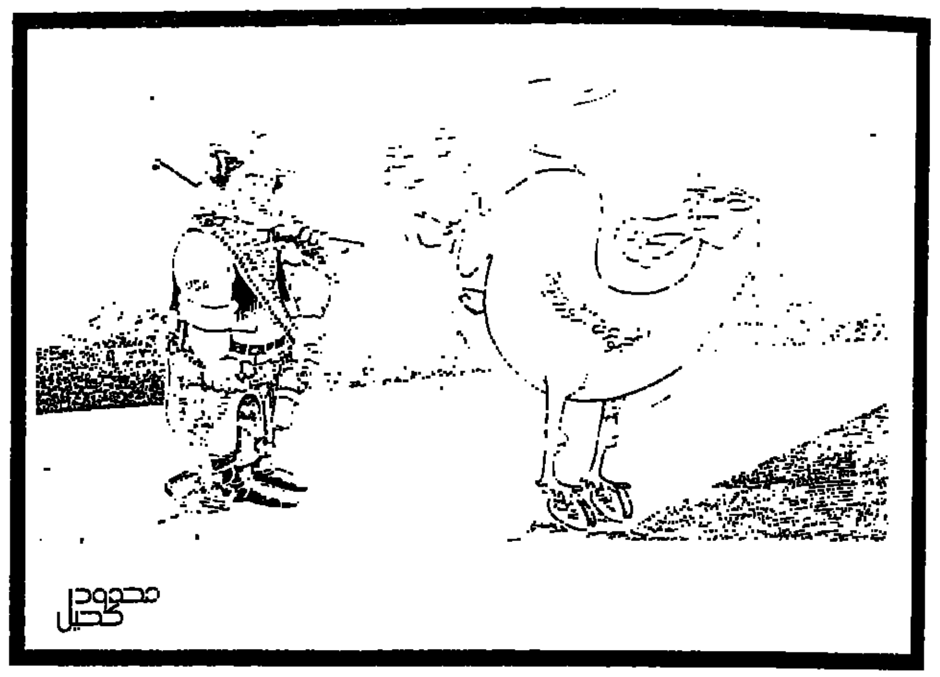
ان الزائر لعمان لا بد وان تلفت نظره تلك القصور الملكية وغير الملكية، والتي لا نراها نحن مواطني دولة الخطر الدائم الا في الافلام وعلى شاشات التلفزيون.

القصور الهاشمية التي تعود ملكيتها للعائلة المالكة محروسة جدا، ولا تستطيع قلة الدخول اليها بدون اذن خاص من الرقابة العسكرية، ومنها قصر رغدان، قصر بسمان، قصر زهران، قصر معان وغيرها كثير.

القصر الذي تجولت بمحاذاته كان يحتل مساحة جبل هاشم كلها بحدائقه واشجاره وحراسه الجنود.. هذا القصر المخصص للاجتماعات كما قيل لي يعيش بمحاذاته الكثير من الفقراء.. وهذا التناقض الاجتماعي تصادفه في اكثر من مكان، فالفقر منتشر في المخيمات و«عمان البلد» الى جانب الغنى الفاحش في عبدون والشميساني والصويفية وتلاع العلي وغيرها. هناك الشحاذون والنساء المحجبات وظاهرة الالتجاء الى اماكن العبادة.. وهنا النساء تدخن النرجيلة وتهززن اوساطهن وتشربن الكحول وتلبسن اخر موضة في المقاهي، هناك رجل كسيح يبيع الامشاط، وهنا قصر لمواطن اردني وصلت تكاليفه (٧) ملايين دينار!!

رغم كل هذا فانا مشتاقة للاردن واهلها الودودين، الكرماء، ولا يسعني غير قول: سنلتقي مرة اخرى!





* د. احمد سعد *

# ما هي المغامرة الجديدة التي تنسج خيوطها؟



* ما هي المغامرة الجديدة التي تعد لها حكومة الكوارث اليمينية في اسرائيل؟ لقد تعودنا على طرح هذا السؤال تلقائيا منذ ان اعتلى بنيامين نتنياهو وائتلافه اليميني كراسي السلطة. ولهذا نطرح هذا السؤال بعد فشل عملية الارهاب المغامرة في الاردن وانكشاف خيوط المخطط التآمري الذي استهدف خلق واقع جديد لدق الاسافين بين السلطة الوطنية الفلسطينية وكل من الاردن و«حماس»، تنفذ حكومة اسرائيل من سراديبها للانتقاص من ثوابت الحق الفلسطيني المشروع.

نطرح هذا السؤال اليوم وفي وقت تلوح في الافق مؤشرات مخططات مغامرة مرتقبة تعدُّ لها حكومة نتنياهو. فرائحة الجريمة المقبلة بدأت تنبعث من وراء الاكمة. واكتفي بعرض مؤشرين اساسيين يعكسان الابعاد المأساوية فيما لو تجسما على ارض الواقع.

المؤشر الأول، البعد المأساوي لما يستتر ما بين سطور ما نشر في «معاريف» ٩٧/١٠/١٣، من مطالبة المستشار القضائي للحكومة رئيس الحكومة ووزرائه بالبحث الجدي لمواجهة برامج البناء في باحة المسجد الاقصى. وجاءت هذه المطالبة على خلفية محاولات وطلبات المجموعة المتطرفة العنصرية المغامرة التي تطلق على نفسها اسم «نئمني هار هبايت» «امناء البيت»، لنهب الوقف الاسلامي وتغيير معالم المسجد الاقصى المبارك. لقد توجهت هذه العصابة المتطرفة اكثر من مرة الى ممارسة اعمال استفزازية في الحرم الشريف والى طلب التغطية الحكومية لمنع اعمال الترميم في المسجد الاقصى.

والانكى من ذلك، ان المستشار القضائي و«المصادر الامنية» تلجأ الى «بقرة الامن» لتمرير المؤامرة على الاقصى. فحسب ادعائهم فان بناء - براكية - دفيئة مع سقف واق - في ساحة المسجد «تؤلف خطرا امنيا، حيث ان الشرطة واذرع الاحتلال تستغل هذه الساحة - كما يدعون - «لحماية الامن» ومواجهة «الاضطرابات»»!!

ان تنفيذ هذا المخطط الاسود قد يؤدي الى انفجار رهيب لا احد يعلم ابعاده. اننا نحذر حكومة الكوارث من تنفيذ هذا المخطط الكارثي. بهذه الروح توجهنا الى رئيس الحكومة مطالبين بعدم الانزلاق الى هاوية هذه المغامرة واتخاذ كل الوسائل لوقف استفزازات عصابة «هار هبايت».

والمؤشر الثاني، الزيارة التي يقوم بها، منذ مطلع هذا الاسبوع، القائد العام للجيش الاسرائيلي الى تركيا ولقاؤه مع نظيره التركي وغيره من المسؤولين في الحكومة والجيش التركي. وقد حاولت وسائل الاعلام التركيز على ان الهدف من هذه الزيارة هو تسويق دبابة «همركباه» للجيش التركي. قد يكون العمل لتسويق صفقة اسلحة لتركيا من ضمن ما يطرحه القائد العام خدمة للصناعة العسكرية الاسرائيلية، ولكن الهدف من الزيارة ابعد من ذلك. فالزيارة تأتي في اطار التنسيق الاستراتيجي بين اسرائيل وتركيا والولايات المتحدة الامريكية كما وموعد الزيارة يأتي في وقت يمارس فيه كل من النظام التركي والاسرائيلي سياسة العربدة العدوانية وتصعيد حدة التوتر مع جيرانها. فالنظام التركي يمارس حرب ابادة ضد الاكراد وبحجة مطاردة اعضاء «حزب العمل الكردي» يقوم بعدوان غادر ويتوغل في الاراضي العراقية شمالا ويعزز تواجده العسكري على الحدود السورية. هذا في وقت تصعد فيه حكومة نتنياهو ممارستها العدوانية المغامرة في لبنان وعلى الاراضي الفلسطينية.

ويسأل السؤال هل يجري في الخفاء نسج مخطط عدواني تركي - اسرائيلي تحت مظلة الدعم الامريكي للضغط على سوريا، مثل عدوان جديد استفزازي على لبنان وعلى القوات السورية، في لبنان، وفي وقت تتذرع فيه تركيا بمطاردة «حزب العمل التركي» - لتكثيف وجودها العسكري على الحدود السورية ووضع سوريا بين فكي الكماشة الاسرائيلية-التركية، ام هل ينطوي المخطط على عدوان جديد على العراق او ايران!!

اننا نحذر من مغامرة جديدة قد تؤدي الى اشعال نار حرب مأساوية في المنطقة برمتها. ولن تكون مثل هذه المغامرة مخرجا لحكومة نتنياهو من ازمتها الشاملة السياسية والاقتصادية والدولية.

ومسؤولية جميع القوى المحبة للسلام العادل ان لا تقف على الهامش والرصيف في خندق اللامبالاة، وفي وقت تدق فيه نواقيس الخطر الجدي. المسؤولية تستدعي افتراش شارع المواجهة لكبح جماح السياسة العربيدة التي يمارسها نتنياهو وحكومته.

☐ سلمان ناطور ☐

# المفكر العربي بين الهزيمة والاغتيال



## حان الوقت لنخوض تجربة الصراع على مكانة الانسان العربي في كل انحاء الوطن العربي

طويلة قائمة المبدعين والمفكرين العرب الذين اغتالهم الارهاب العربي، وليس هناك ما يضمن وضع السطر الأخير لهذه القائمة ما دامت الانظمة على حالها والدعوة الى اشاعة الدمقراطية تحسب شتيمة وكفراً، حتى انه لم يبق خيار أمام المفكر الاّ الهزيمة او الاغتيال.

هزيمة المفكرين تأخذ اشكالاً مختلفة، في نهايتها تصبح حصيلة الجهد الفكري محاولات بائسة لتبرير الهزيمة. هكذا المفكر السلطوي الذي يتبنى نظرية «النضال من الداخل» وهذا المفكر الهارب الذي اختار المنفى «بحثاً عن فضاء الفكر» في اوروبا وسط حالة قاتلة من الاغتراب. وهكذا المفكر الصامت «ينتظر اللحظة المناسبة».

النضال من داخل السلطة، كل سلطة، هو حالة ارخميدية جوهرها البحث المتواصل عن «مكان أقف عليه لازحزح لك الكرة الارضية»، او كمن يركض في قطار سريع، لا يؤثر على سيره واتجاهه البتة، بل هو محكوم بسير واتجاه القطار، أما «الصمت التكتيكي»، أي انتظار اللحظة المواتية فهو انهزامية سافرة لا تهمش فقط، بل تلغي دور المفكر ومصداقيته حتى عندما تحين هذه اللحظة.

المنفى الاختياري (خلافاً للمنفى القسري) ليس شرطاً لحرية الفكر لأن هذا المنفى يفرض قيدين خطيرين على الفكر وهما التنظير والتقليد، أي اعتبار القارىء المتلقي ليس طرفاً في الحوار بل متلق سلبي عليه ان يقبل عملية التلقين. واما التقليد فهو ترجمة النظريات الغربية الى العربية او جعلها المرجعية الاولى والأخيرة للنهوض بالفكر العربي. وهذا يعني الغاء دور ثقافة العرب كأساس يقوم عليه أي مشروع لكسر الجمود الفكري المميز لهذه المرحلة، الأمر الذي يفسح المجال، كردة فعل، للافكار الاصولية الدينية والقومية لتنتشر ليس فقط في أوساط المثقفين بل في الاوساط الشعبية ايضاً.

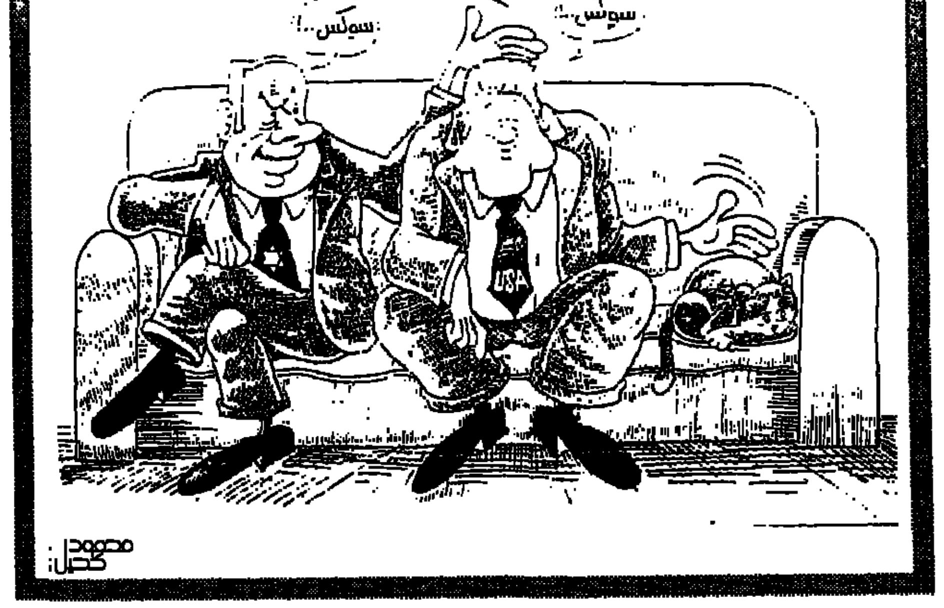
المفكر العربي الذي يرفض الهزيمة معرّض للاغتيال، هذه هي الحالة المأساوية الأخرى.

والاغتيال لا يعني التصفية الجسدية فقط، بل النفي والسجن وكل أشكال القمع، ولذلك فإن أي محاولة للنهوض بالفكر العربي لا بد ان تكون فاتحتها المعركة على الدمقراطية، أي مواجهة الانظمة العربية وفي الوقت ذاته تحييد التيارات الغيبية التي توفر لها هذه الأنظمة أرضاً خصيبة للنمو والانتشار.

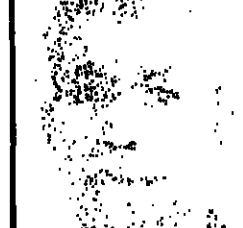
في المجتمع العربي من المحيط الى الخليج، المعركة على الدمقراطية هي معركة على مكانة الفرد، الانسان المعرّف باسم وتاريخ ولادة وسلوك ووجدان وطموح وموقع وهموم، أي التعريف الفردي خلافاً للتعريف الجماعي، لأن كل الانتهاكات لحقوق الانسان الأولية هي باسم الجماعة بدءاً بالعائلة/الحمولة، مروراً بالطائفة والدين والحزب وحتى الأمة نفسها، أي العروبة، وما دام الفرد غير معرّف فإن حقوقه ايضاً غامضة، والنظام اللادمقراطية، بطبيعة الحال، يحوّل الفرد الى اداة طيعة، خاصة الفرد الذي لا يعي حريته وكرامته، وأي مشروع تحرري قومي لا يبدأ بتحرير الفرد واعلاء شأنه فهو محكوم بالفشل، والدليل على ذلك هو سقوط كل المشاريع القومية من البعث العربي وحتى الناصرية التي وصلت الى موقع السلطة ومعها المشاريع الماركسية التي احبطت في مراحل متقدمة من وصولها الى السلطة (اليمن والسودان) او المشاركة في السلطة (العراق، الجزائر وسوريا).

ليس سهلاً علينا نحن العرب الفلسطينيين الذين نعيش في اسرائيل، أن نشارك في الحوار الدائر في العالم العربي حول حرية الفكر وكرامة الفرد، ونحن لا نشارك ليس لأننا لا نريد ولا لأن الدولة اليهودية تمنعنا، بل لأن الاوساط الفكرية العربية ليست معنية بذلك. فهي تقبل بدون وعي ما تحاول اسرائيل فعله وهو عزلنا عن الهم العربي العام وحشرنا فكرياً وثقافياً في داخل الحدود التي ترسمها هي والفاصلة بينها وبين العالم العربي. وما ينتظره منا العرب، هو ان نقدم لهم على طبق من ذهب انجازاتنا في مواجهة الصهيونية على الخط الأمامي، ونحن نفعل ذلك بقناعة تامة، لكن حان الوقت لنخوض تجربة الصراع على مكانة الانسان العربي في كل أنحاء الوطن العربي، لعل في تجربتنا ما يسهم في تحصين المفكر العربي من الهزيمة والاغتيال.

كانت بادرة طيبة وهامة تلك التي قام بها المركز الثقافي البلدي في الناصرة قبل اسبوعين، حيث عقد ندوة عن حرية الفكر واغتيال المبدعين، وهو يواصل مشروعه في الندوات الشهرية حول قضايا فكرية على مستوى يخرج من دائرة الاهتمام المحلي الى دوائر الهم العربي والكوني، والمشاركة الكبيرة والنشيطة للجمهور الذي يحضر هذه الندوات هي دليل واضح على اننا نريد كسر الطوق، ولنا ما نقوله واننا بدأنا نتجاوز مرحلة ابتذال الشعار، لكي نسير في سبيل بلورة نظرية قومية تقوم على التفاصيل والجزئيات، فهل تحدث نقلة نوعية في حواراتنا الثقافية والفكرية!



* محمود ابو شنب *



# هل فُهِمَت «الرسالة»؟!

لا يختلف اثنان على ان تكرار أمر بعينه، سواء في الطبيعة أو في المجتمع، يصبح ظاهرة. ولكن ماذا اذا كانت الظاهرة ذاتها تتكرر؟ ماذا نسمي ذلك، وأية صفة نطلقها على هذا التكرار؟!

الراب «لاو» تحدث.. اي والله تحدث، في برنامج «شأن آخر» صباح الاثنين الماضي، وتطرق الى العملية السياسية معرباً عن خيبة امله وخيبة امل الشعب الاسرائيلي، لأن الطرف الذي تمت «مصالحته» التاريخية، وعقدت معه اتفاقية اوسلو، لم ينفذ شيئاً من الاتفاق، وقال: كنت اتمنى لو ان دولة عربية واحدة تعمل كما عملنا في اطار العشقيف على السلام، وتعلن عن هذه السنة في المدارس، كما اعلنا نحن، سنة سلام.

الراب لاو، كما يذكر الجميع، كان عين في عهد حكومة رابين، وفي حديثه المذكور لم يتطرق الى أية ظاهرة سلبية في سياسة حكومة نتنياهو، ولم يلمح ولو بانتقاد مخملي لهذه الحكومة. ولكن، الم يسمع الراب أو يقرأ مثلاً، عن المظاهر العنصرية التي تتكرر كل يوم؟ وان ما يكشف من هذه المظاهر هو غيض من فيض؟

ويبدو ان الراب المحترم يغض الطرف ويتغاضى عن انه لايقال أو يعلن جماهيرياً عن ظاهرة عنصرية الا عندما تتصل بمؤسسة رسمية أو عسكرية..

واذا كان الراب المحترم قد نسي، فاننا لم ننس حادث الضابطة مع المجند العربي الدرزي وقولها له: إننا نقبلكم في الجيش فقط حتى لا تنضموا الى «حماس»، وحادث الضابط مع المجند البدوي، وحادث ضابطة الشرطة مع الشرطي العربي في يافا، وقولها له: نحن لا نطيق الدروز فكيف نطيقكم انتم العرب. وحادث المدرس الذي اوصى بعدم التصادق مع العرب، وحادث الكتاب الذي ينز عنصرية، ويكفي ان تجد فيه مثلاً «الجولان لنا»، وكان حظر توزيعه على الطلاب للمطالعة، بعد انكشاف مضمونه العنصري، واخيراً، وليس آخراً بالتأكيد، حادثة الطالبات العربيات في جامعة القدس اللواتي أقدم عنصريون على تهديدهن وطلب رحيلهن عن الحي، حتى أن محاولة جرت لاحراق شقتهن وهن في داخلها.

ماذا نسمي هذه الظواهر المتكررة، الا تدخل كلها في اطار التثقيف الذي يتبجح.. يتحدث عنه الراب المحترم. لماذا لم يذكر من هذه الحوادث ولو حادثة واحدة على سبيل الظهور بمظهر الشخص الموضوعي، ولو نفاقاً؟!

من المؤكد ان الراب المحترم لا يعرف ولم يسمع عن الشاعر الذي، دون ان يعرفه، يدين برأيه: «وما أنا الا من غزية ان غوت»،... والراب لاو، مثل اعضاء حكومة نتنياهو، الذين هم على صواب دائماً، والذنب كل الذنب على الآخرين. فاذا توقفت أو تجمدت أو عانت اتفاقية اوسلو سكرات الموت، فان الفلسطينيين هم المذنبون الذين عملوا على قتلها. واذا احتدت العلاقات الاسرائيلية-المصرية، فان المصريين هم المذنبون وهم الذين يحرضون العالم ضد اسرائيل بشأن «خلقة» قنبلة نووية. والاردن قد اخطأ خطأ فادحاً لأنه هرول مهنئة رسول السلام الاسرائيلي في القصف «على والمغرب» منشغل، ولا ذنب اكبر من ذنب لبنان لانه لا يسمح لاسرائيل بالانسحاب من جنوبه،

وفوق ذلك، يدعم «مخربي» حزب الله في تطاولهم على الجيش الاسرائيلي الذي لا يُقهر، والذي لا غرض له من احتلال جنوب لبنان الا حماية سكان الشمال الاسرائيلي، ولا مطمع او مطمع له في شبر أرض من جنوب لبنان، ولا في حفنة ماء من مائه.

ويبدو ان التوسعيين الاسرائيليين لا يطمعون في شبر فقط من جنوب لبنان، ولا في حفنة ماء فقط من مائه. والذريعة التي يتذرعون بها لتكريس احتلال الجنوب اللبناني هي ان الانسحاب من طرف واحد وبدون الاتفاق مع حكومة لبنان، معناه جلب حزب الله الى السياج الحدودي بين اسرائيل ولبنان.

ولكن حزب الله في الاسبوع الماضي، فجر هذه الذريعة وفضحها بشكل عملي. ذلك ان مقاتلي حزب الله تمكنوا، في الحادثة الاخيرة، من الوصول الى مسافة مائة متر من السياج الحدودي، وهناك، ومن خرائب بيت مهجور اختبأوا فيه، اطلقوا الصواريخ، لاعلى بيوت السكن الاسرائيلية، بل على مركبة اسرائيلية عسكرية في داخل ما يسمى بالحزام الأمني.

كان مقاتلو حزب الله الان، على بعد مائة متر من السياج الحدودي ولم يطلقوا الكاتيوشات على الاحياء السكنية اليهودية التي كانت في متناول يدهم وكان باستطاعتهم ان يفعلوا، فهل سألت الحكومة نفسها أو فكرت لماذا لم يفعلوا؟ اليست هذه رسالة من مقاتلي حزب الله الى حكومة

(البقية على ص ١٦)

* غازي ابو ريا *



# «الايدز الجديد»

## «انهيار القدرة على التأثير»

الطائرة بلا وقود وركابها ينحدرون الى لقاء مع الجبل، ولا حول لهم، ولا قوة.. السفينة شقت من وسطها، ولن يمنع احد البحر من التهامها، ولا الحيتان شغوفة بالقطع البشرية العائمة امامها.

مواقف لاحصر لها، يقف الانسان امامها مفلساً، غير قادر على التأثير: ولا أظن ان هناك حالة نفسية اكثر صعوبة من لحظة الاحساس بأنك غير قادر على التأثير. يمكنك ان تشعر بالالم بقدر ما شئت، لكنك تشعر بالبلبة والهزيمة حين تزور مريضاً لا شفاء من مرضه كذلك لحظة وجودك امام من فقدوا عزيزا عليهم.

امريكا تحاصر ليبيا والعراق وكوبا وايران.. تتمزق داخلياً. وتزداد هزيمتك حين تشعر بأن موقفك هو ليس اقل من الصفر، لكنه ليس اكثر منه.. بينما كنت في الماضي، وبمجرد «دعمك» للكتلة الشرقية -تشعر بأنك موجود، وتؤثر في السياسة العالمية، وانت قادر على مقارعة امريكا..

مذابح في الجزائر تهز الضمير حتى «تشله» لكنك تحس بأنك غير قادر على فعل شيء الا التعبير عن الاشياء بشدة.

ويمكنك ان تستاء على هواك.. وتستعد للاستياء القادم والذي يليه..

هذا الشعور المتنامي في «قلة الحيلة» - وفقدان الاحساس بالقدرة على التأثير.. صار يكبر وينمو ويمتد الى قضايا يستطيع الفرد ان يؤثر بها لو جعل مع الشعور بعض الجهد وقليلاً من التضحية او التطوّع..

حكومة اسرائيل.. تعربد.. ترتكب كل الحماقات الممكنة. تخترع حماقات.. والشعب ساكت الا طائفة هنا، وجماعة هناك - لماذا هذا السكوت؟ اهو الموافقة؟ كلا بل القناعة المغلوطة.. بأن كل فرد يلغي نفسه، او يرفع يديه مستسلماً.. ويقول للحكومة: وانا لا شيء، افعلي ما طاب لك» وهذا سلوك خطير.. حين يرى الفرد الكارثة ولا يصرخ محذراً.. لو انتبه الطيار الى وضع البنزين في طائرته، فلن يجد نفسه بدون وقود.. ولو رأى احد الملاحين او ركاب السفينة ان في السفينة خلل ونبه اليه لما حدثت الكارثة.

الشعب هنا، يجلس صامتا مكتوف اليدين، كالطالب المؤدب وغير المؤدب في زمن «الكتّاب» او في زمن المدرسة القديمة. والشعب يعرف ان قطار نتنياهو وزمرته يحمل كل خطط الحرب وادواتها.. ويسير الى جهة القتال، يبعثر المناشير في سفره السريع ليأمر الشعب الاسرائيلي: «الى الحرب! الى الموت! الى الخراب!» والشعب يقرأ ويفهم ويصدق.. لكنه في حالة احباط وخمول ولسان حاله يقول: «الحرب.. الحرب، ماذا يمكن ان يفعل مثلي لوقف الحرب!» ونسي هذا الشعب.. ان مظاهرة النصف مليون في تل ابيب منعت مذابح سنة ١٩٨٢.. ومظاهراته اخرجت اسرائيل من بعض لبنان!.

ونسي الفلسطيني ان الحجر حرك قضيته ووضعها على سلم اولويات العالم.

انا عاجز، حالة يصاب بها الانسان، يستسلم الانسان احيانا امام سلوك سيء لاحد ابنائه. يحاول الأب التغيير.. النصح.. يجرب كل الأساليب التي يعرفها. ويصل الى نقطة العاجز.. كفى! لا استطيع التأثير.

التعليم العربي مثلاً، يعاني من امراض عديدة.. وليست الحكومة طرفا في كلها.. هناك السكري من المعلم العربي، والحصى من اوليا الأمور العرب.. والسرطان من الجهاز الاداري العربي في الوزارة والصراع مع الطلاب.. وهناك شبه اجماع لدى الأطراف كافراد وجماعات احيانا بأن الموقف: «ماذا يمكن ان افعل امام كل هذه الأمراض، اتركوا المريض للأقدار!».

الشارع في هذه الحارة غير سالك.. الحفرا تمسك بيد اختها من اوله الى منتهاه، السائق يشتم، الرجل بهمهم. والمسؤول لا يسمع الا الاطراء والمديح. لماذا يسوّد المواطن وجهه امام المسؤولين. ماذا يجدي صراخه لو صرخ؟! اذن، حيث لا يمكنك التأثير، من الأفضل ان تسكت..

واسمعوا هذه الحكاية الطريفة، عن الرابي عوفاديا يوسيف.. الزعيم الروحي لحركة شاس. «قدمت للرابي ارملة فقيرة، وطلبت منه ان يتدخل في قضية لها مع البنك.. فهي غير قادرة على تسديد قرض الأعمار.. والبنك يطالبها بمبالغ هائلة بعد ان عجزت عن دفع الأقساط الأخيرة.. توجه الرابي نحو البنك.. طلب المدير.. وكان ارتباك المدير عظيما امام هذه الشخصية الهامة والمحترمة.. جلس الرابي ربع ساعة ولم يتفوه بكلمة.. والمدير يحضر القهوة.. الشاي.. الكعك..وكل ما توفر عنده.. لكنه صامت ينتظر حديث الرابي.. وفجأة وقف الرابي وتوجه نحو باب الخروج... عندها لحقه المدير طالبا منه ان يفصح عن غايته من هذه الزيارة.. رفض الرابي الافصاح والحّ المدير حتى قال الرابي: يا بني، انه إثمٌ كبير ان تقول كلمة في مكان لا تؤثر به هذه الكلمة، وراح المدير في استرضاء الرابي متعهدا له بأن طلباته مستجابة. عندها عرض الرابي القضية امام المدير، بُهت المدير.. وقال في ارتباك، لكن هذه القضية فوق امكانياتي، ولا استطيع حلها. عندها هاله الرابي قائلا: اعرف ذلك، لكن الحاحك عليّ جعلني ارتكب إثما. لم يفكر المدير طويلا لقال: أخبر المرأة ان القضية منتهية ولو على حسابي»..

قد تكون العبرة عند البعض من هذه الحادثة الحقيقية «ولا تتحدث اذا كان كلامك لن يؤثر» «ولا تعمل اذا كان عملك لن يؤثر» لكن العبرة التي وجدها كثيرون وانا ايضا، بانه حيث لا يمكنك التأثير يجب ايجاد الطريقة التي تجعلك قادرا على التأثير.. مع الحفاظ على قناعاتك ومبادئك..

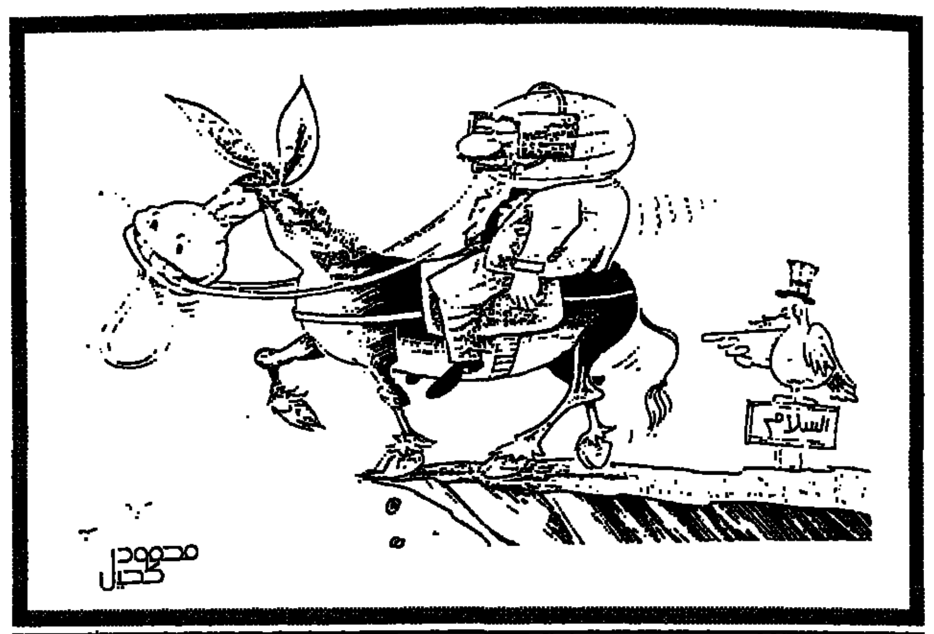
من الخطأ ان تكون الدمقراطية حصتا لأحد.. نسكت على كل اخطائه.. ونعاقبه حين يأتي وقت «التصويت».. هل ينتظر الشعب في اسرائيل - مثلا - حتى يأتي موعد الانتخاب للرئاسة.. وهل يسمح الشعب بأن تقود البلاد الى كارثة بحجة ألا يمكن وقف الحكومة الا يوم الانتخابات فقط!!!

مئات الشيوعيين عُذبوا في السجون.. كانوا على قناعة بأن كل فرد منهم قادر على التأثير والغاء الحكم العسكري.. وذلك في زمن الاجماع الصهيوني والانهزام العربي.. ثم انتصروا.. والآلاف حملوا على الحزب الشيوعي واصدقائه لما استشهد من استشهد يوم الأرض، لانهم كانوا على قناعة بأنهم غير قادرين على التأثير، وهزم هذا الفكر..

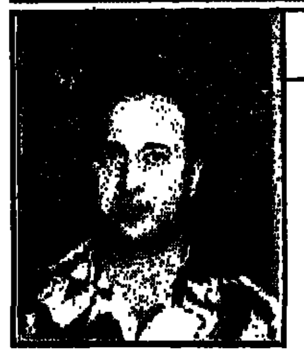
ولا مستقبل لشعب يحس افراده بأنهم عجزا.. لا حول لهم ولا قوة.. يجلسون القرفصاء بأيد مكتوفة امام قضايا وطنية وجماهيرية ومحلية وعائلية.. وعالمية ايضا.

واطلبوا تجدوا، اقرعوا، يفتح لكم».. ولا يضيع حق خلفه من يطالب به».. وأضيف.. ولا يكفي ان تعرف الحق، يجب ان تعمل لأجله. ومن يعرف الحق ويسكت اسوأ من الجاهل به».





* سهيل قبلان *



# عن موت الضمائر!!

كل شيء يموت. والموت رهيب وفظيع.

يحرك الالام والاسى والاحزان والغصات.

يحرك الذكريات. ويتأثر الانسان بمدى علاقته بالميت. والموت انواع، يطال الانسان والحيوان والنبات وكل الاحياء. تموت الزهرة، فتكون موضوع وحي للشاعر، يخلدها بقصيدة.

يموت الحب، فتولد الاحقاد والضغائن.

تموت الامال، فتولد الخيبة. تموت الارادة، فيولد الخمول واليأس والاتكالية. ويموت الوعي، فينتشر الجهل والغباء. يموت الضمير، فتكون المصائب.

كل شيء يموت، حتى الاحساس وتبكيت الضمير. واخطر انواع الموت غير الحتمي والطبيعي، موت الضمير. امر رهيب ان لا يأبه الانسان لصوت ضميره.

والافظع ان يميت ضميره!! ان يخفت صوت ضميره، ينقطع فلا يبلغ الاذن.. الموت الطبيعي مفهوم، لكن الموت المفروض المدبر المتعمد، غير مقبول ولا يحتمل وهو ناجم عن موت الضمير في الانسان.

ولماذا يموت الضمير؟ لماذا تتبلد المشاعر وتتحجر الاحاسيس وتموت العواطف في «الانسان» تجاه الانسان؟ لماذا يصعب على الانسان نشر المحبة وترسيخ التعايش ويسهل عليه الترويج للحروب وبذر الاحقاد وزرع الدمار؟

ولماذا تكثر حشود المتفرجين في مناسبات واحداث كثيرة؟ تسير مظاهرة احتجاجا على مصادرة ارض او دوس حق او هدم بيت او لتحسين اوضاع معينة، في مدرسة او قرية أو مصنع، فترى حشود المتفرجين كثيرة. ما الذي يمنعها من المشاركة خاصة ان المتظاهرين يطالبون بشكل عام ومن اجل الجميع، فالنضال مصادرة ارض او التجاح في لجم الغلاء او رفع الغبن والظلم هو في صالح الجميع المتضررين من الغلاء والظلم.

اليس الوقوف متفرجا رغم ما يراه بام عينيه ويلمسه على ارض الواقع، ينطوي على نوع من بطء تحرك الضمير؟ لا اقصد المغلوب على امره او الانسان العادي، انما الذي يدرك جوهر الاشياء ولا يبالي.

لقد بانت نظرية بنيامين نتنياهو المبنية على شعار: «السلام والامن معا»، فلا السلام تحقق ولا الامن ترسخ، لا لاسرائيل ولا للمنطقة. ورغم ذلك، يواصل قيادة شؤون الدولة!! لقد امتدت واستطالت سلسلة الاخطاء التي انتجها وارتكبها، تلطخت بالدم لكنه لا يزال يقود شؤون الدولة. يتمسك بنظرية دعائية وهمية، منسلخة عن الواقع، ورغم ذلك، يواصل القيادة المغامرة متخذيا ومتشجعا من ميوعة مواقف «العمل» و«ميرتس» وتخاذل وصمت الزعلاتين والملونين والنفعيين من اعضاء في الائتلاف. سقطت وفشلت نظريته، لانه يريد تحقيق «الامن» للاسرائيلي على حساب معاناة وتشريد وقمع الفلسطيني!! متناسيا ان الامن لجميع الشعوب واحد لا يتجزأ.

والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لا تقف المعارضة وقواها المختلفة بكل قوة وصحوة ضمير ضد سياسة نتنياهو التي تقود المنطقة نحو العنف والازمات والعداوات والحرب؟ لماذا هذا الصمت؟ لماذا لا تترجم الاقوال الى افعال؟ يوميا نسمع الانتقادات لنهج نتنياهو المغامر، من رئيس الدولة حتى الفتى في الشارع، حتى اعضاء في «الليكود». فاذا كان شهد شاهد من اهله ان «رب البيت» فشل في سياسته ورئاسته للحكومة، الامر الذي دفع المقربين ووزراء في الحكومة الى انتقاده والتحذير من نهجه واستمراره. فكيف يتغاضى الشعب في اسرائيل عن اخطاء، وعربدة وعنجهية نتنياهو؟ لماذا لا ينحيه عن منصبه لانه ببساطة غير ملائم؟ الا يعتبر استمرار نتنياهو في منصبه رغم ما كدسه من اخطاء وفضائح واعمال عربدة ونقض للوعود، بمثابة دليل على ان حشد المتفرجين كبير وبه صمم عن صوت الضمير؟ هل انعدم تبكيت الضمير وتعمقت اللامبالاة ازاء ما يجري في الدولة والمنطقة؟ ولماذا؟

أنه امر مثير للاستغراب، كيف يبارك احيانا كثيرة حشد غفير من الشعب الاسرائيلي خطوات غير صحيحة لرئيس الحكومة؟ والمثير للقلق، اتساع فئة المتفرجين والانكى من ذلك، سعي فئات من بين المتفرجين، احيانا كثيرة، للتخريب على النضال الهادف الى وضع حد لنهج عام مغامر للحكومة، او النضال لنضال في قرية او مدينة او مصنع ما، الا يدل ذلك على احتضار الضمائر؟

يسعى نتنياهو لتحقيق السلام المزيف الهش المتخلخل المهزوز القائم على العربدة والبطش والقمع والاذلال والمعاناة. فماذا سيكون حكم التاريخ على اولئك الذين بامكانهم وضع حد لاوهام نتنياهو ولقله الى طريق الصواب، وللأسف تخاذلوا وتقاعسوا وفضلوا الكرسي الوثير والراتب المغري المتخم، على صون مستقبل المنطقة كلها؟ اين ضمائر الذين تعز عليهم قيم السلام والتعايش والتآخي ونبذ الحروب؟

لماذا يموت الضمير او يتآكله الصدأ؟

في بيت جن معركة دفاعا عن الارض وضد سياسة السلطة بكافة اذرعها الممتدة لنهش الأرض، وقعت عدة مواجهات مع الشرطة، وللاسف هناك حشد من المتفرجين، يقفون على الهامش، منهم من يحمل الالقاب الاكاديمية، يتخاذلون في الوقت الذي فربعهم تناديهم، والانكى انهم يصدرون بيانات الاستهتار بالنضال!! رؤساء المجالس المحلية الدرزية بغالبيتهم يضغطون على بيت جن لوقف النضال الذي اطلق عليه البعض وبدون حياء اسم «شوشرة»، فاذا صار النضال «شوشرة» في عرف البعض، فهل هذا دليل على صحوة الضمير ام موته؟ لجنة متابعة قضايا التعليم العربي تخوض نضالا وتنظم المظاهرات لتحسين اوضاع التعليم، لكن الضمير في وزارة المعارف تحجر وطار!! ولكن هل المشاركة العربية، خاصة رؤساء المجالس واعضاء الكنيست مرضية وكافية وبمستوى الحدث؟

كل شيء يموت، لكن الويل لنا ان نقبل بموت الضمائر، او ان نرضى ان نكون امواتا ونحن احياء!!

فل وفلفل* يوسف فرح *



# كل واحد من «تلاه»

* ما لهذه الاسابيع تقصر كثيرا على غير عادتها، كانها غمرت في ماء يغلي فما تكاد تفرغ من كتابة مقالك الاسبوعي، حتى يفاجئوك: تسلم مقالك بعد غد يا رفيق!

تضطر الى تشغيل ازرار الطوارئ كلها، كما في طائرة امام عاصفة هوجاء، اعياد ابناء عمنا كانت هي العاصفة، بدءا براس السنة، مرورا بيوم الغفران وانتهاء بنصب العرائش.

ويوم الغفران هذه السنة رافقه كما في كل سنة نزول مئات «المتطوعين» (لوجه الله) الى الشوارع، للتربص بكل سيارة سانحة، وتحطيم ما يمكن تحطيمه فيها من بشر وزجاج، لا فرق بين سيارة يهودي وسيارة عربي، فابن التمييز!! فكل سيارة تتجرأ على انتهاك حرمة اليوم المقدس، تستحق الرجم! فأي عقاب يستحقه راجم الحجارة، ام ان الرجم لا يعتبر انتهاكا! ومع ذلك لا تقلقوا، فاذا كان الرجم والتكسير والاصابة خطيئة، فان دجاجة يررها ذو لحية وكيباه فوق راسك في الغفران القادم، كفيلة بمحو اثامك، ما تقدم منها وما تاخر!

ترفع مستوى نشاطك الى الخط الاحمر، اتقاء للسفر والمرور في حي يكمن فيه «جند الرب» المدافعون عن شرفه تطوعا، لغيرك يحاول اتقاء الالغام!

والالغام منها حقيقية، وتعارض امريكا ازالتها طالما ان في اسيا وافريقيا بشرا ما زالوا يمشون على اثنين! ومنها مجازية تتمثل في مراكمة العراقيل على درب العلاقات بين الدول. وما عودة السفير الكندي الى تل ابيب بعد زعلة قصيرة، الا نوع من ازالة «لغم» الجوازات الكندية التي حملها رجال الموساد، لتكون دخانا يغطي انسحابهم من حلبة الجريمة في «عرين الحسين»، بدات الازمة لغما، وانتهت «بيوسة لحية، ارخص من دجاجة الغفران!

فهل العالم كله حقل الغم؟!

في الجزائر يسير «مشروع» اللغم (كمشروع تنظيم الاسرة مثلا) على قدم وساق! كان الدم والساق الاخرين طارتا بفعل لغم مضاد للافراد! هل سمعتم بوحش اخترع اشراكا مضادة لنوع واحد من فرائسه!ومع ذلك نظل نتحدث عن «الانسان المتوحش»!

وفي مصر، وبدل الحلقات الفكرية والمنتديات الادبية التي ازدهرت في يوم من الايام، تنشأ «كتائب الرعب، وواضح من تسميتهاانها لن توزع الفول و الكشري والطعمية على جياع مصر، واول «نشاط» لها كان قتل عشرة شرطيين ومدني واحد!!

وفي عتمة هذا الليل العربي الدموي، تجري اسرائيل مفاوضات مع تركيا، لبيع ثلاثة الاف دبابة حديثة!

فتركيا بحاجة ماسة لسلاح متطور، واسرائيل بحاجة ماسة لاحاطة سوريا بحقل الغام للضغط عليها وتفجيرها ان امكن، فلا يجد الاشقاء العرب سوى «طلع» التصريحات!

ولنضرب مثلا.

اعتقدت مصر في البداية ان المناورات الاسرائيلية التركية الامريكية، تشكل تهديدا لدول المنطقة، ولكن سرعان ما تبدد الخطر! فالرئيس التركي حضر بنفسه الى مصر، طمأن الرئيس المصري، وسيادته قام بطمأنة اخوانه الرؤساء العرب، وهكذا لم تعد تلك المناورات تهدد احدا! واظن انه سيكون للشقيقة الكبرى نفس الموقف عندما يؤكد لها اي «دنس» ان مؤتمر الدوحة الاقتصادي، ليس فقط غير ذي خطر، بل هو ضرورة وطنية ملحة، وبالذات بفضل المشاركة الاسرائيلية فيه، «فليتقدم من يشاء وليحجم من يشاء»!!

مضحك امر العلاقات العربية ببعضها وبغيرها.

اسرائيل تعقد الاحلاف وصفقات السلاح مع امريكا، فيكون رد الفعل العربي مزيدا من العلاقة مع «الست صديقة» - امريكا. اذن ما الذي يجعل أمريكا تغير موقفها، ما دامت تحظى بمحبة صهيون، وفي نفس الوقت بعشق المشيخات العربية (ملكيات وجمهوريات وسلطنات).

كان هذا العالم يخلو الا من امريكا والامريكيين!

فابن علاقاتكم مع اليونان والهند وكوريا وفيتنام وكوبا والصين.

هل من الصعب اذا تلاشى الاتحاد السوفيتي، ان تخلقوا اتحادا سوفيتيا جديدا، وتجعلوا منه ومنكم وزنا موازيا لوزن «البرد» الامريكي الذي هو سبب كل علة!!

واذا كانت اسرائيل قادرة على الضغط عليكم من «الباب العالي» التركي، اقليس بامكانكم الضغط عليها وعلى غيرها من الباب اليوناني او القبرصي او.. الايراني! لا تجفلوا، ولا تخشوا تهمة الارهاب، فكل طفل بات بامكانه تحديد مواقع الارهاب الحقيقي، شريطة ان يتحلى ببعض الشجاعة!

(حتى بعد عملية عمان ما زال نتنياهو يتحدث عن الارهاب العربي!!)

قبل اختراع اسوار الباطون حدودا بين الحواكير القروية، كانت تزين تلك الحدود اشجار مثمرة من الرمان والتين والكرمة. وكانت هذه الاشجار تلقي بظلالها وثمارها على الجانبين، فيتقاسم الجاران الثمر، «وكل واحد من تلاه» اي ياكل الثمار المدلاة من ناحيته، وبعد ان اخترعت اسوار الباطون المسلح، الصلبة والجافة، تباعدت القلوب وتباعد الناس، فالباطون لا يؤكل، وعلى مستوى الدول، يرسم القوي الحدود . وفي عز النشوة التي سكر بها حكامنا بعد بضع حروب «ناجحة»، رسموا الحدود بينهم وبين الفلسطينيين على النحو «العادل» التالي: للنهر ضفتان «واحدة لنا، اما الاخرى فكذلك لنا!

ولا ادري ماذا يطبخ تجار القطع البشرية على نيران احقادهم واطماعهم، ولكن تجزئة العراق الى اكثر من كيان تبدو امرا محتملا ان لم يكن واقعا بالفعل، وكل واحد من تلاه، اتفاق القرويين غير المكتوب.

يطبق الجيران عليه من كل ناحية، فللاسبوع الثالث على التوالي يستمر اجتياح تركي، موسم الصيد بدأ، واللحم الكردي للذيذ مطبوخا على صاج سجون انقرة واستنبول، ومشويا على نيران النابالم والمركافا (٨٠٠)

فريسة تمرغت في التراب، ولا تبدو عودة الصيادين الاتراك وشيكة. واذا كان اللحم الكردي لا يسد النهم، فها هي الطائرات الايرانية تقوم باكمال مهمة الصيد، فتلاحق «مجاهدي خلق» المعارضين، على ارض العراق ايضا، وكل واحد من تلاه!

ولعل المفارقة النازفة في الماساة الكردية، انه في حين تقوم القوات التركية بقتل بعضهم، يقومون هم بتقتيل بعضهم ايضا!

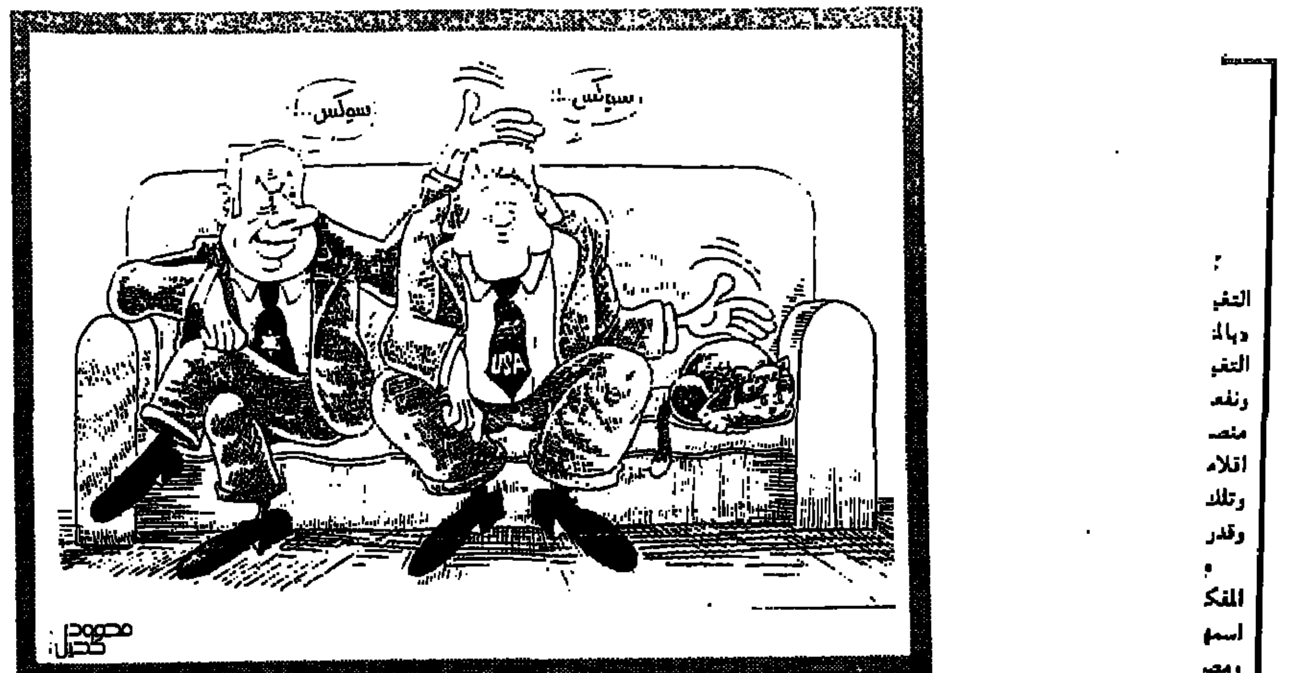
يقيني انه اذا ما طال هذا الليل العربي، فسوف تتحول الدول العربية كلها الى حواكير مشاعية يقتطع منها الطامعون- لا الجيران الطيبون- ما يشاؤون.

ومن ناحيتي، فمع انتهائي من مقالتي هذه ساشرع بمقالة اخرى قبل ان يفك «أبناء عمنا» اعراشهم خارج منازلهم، وقبل ان تقصر الاسابيع كما قصرت قبلا!

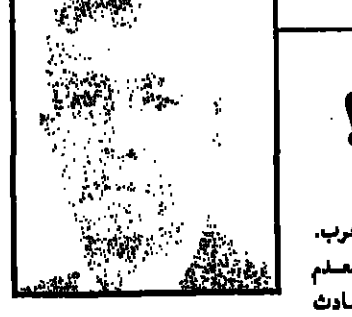
## عالخفيف

### «عيفونا»

كان تعيبه الغراب المعربض باسماعنا في السيارة وفي غيرها، في الليل والنهار ليس كافيا، حتى بادرت شركة الكوابل في بلدنا الى ربط اسماعنا بصوت إسرائيل من اورشليم - القدس!!




* محمود ابو شنب *



# هل فُهمت «الرسالة؟!

لا يختلف اثنان على ان تكرار أمر بعينه، سواء في الطبيعة أو في المجتمع، يصبح ظاهرة. ولكن ماذا اذا كانت الظاهرة ذاتها تتكرر؟ ماذا نسمي ذلك، وأية صفة نطلقها على هذا التكرار؟!

الراب «لاو» تحدث.. اي والله تحدث، في برنامج «شأن آخر» صباح الاثنين الماضي، وتطرق الى العملية السياسية معرباً عن خيبة أمله وخيبة امل الشعب الاسرائيلي، لأن الطرف الذي تمت «مصالحته» التاريخية، وعقدت معه اتفاقية اوسلو، لم ينفذ شيئاً من الاتفاق، وقال: كنت اتمنى لو ان دولة عربية واحدة تعمل كما عملنا في اطار التثقيف على السلام، وتعلن عن هذه السنة في المدارس، كما اعلنا نحن، سنة سلام.

الراب لاو، كما يذكر الجميع، كان عين في عهد حكومة رابين، وفي حديثه المذكور لم يتطرق الى أية ظاهرة سلبية في سياسة حكومة نتنياهو، ولم يلمح ولو بانتقاد مخملي لهذه الحكومة. ولكن، الم يسمع الراب أو يقرأ مثلاً، عن المظاهر العنصرية التي تتكرر كل يوم؟ وان ما يكشف من هذه المظاهر هو غيض من فيض؟

ويبدو ان الراب المحترم يغض الطرف ويتعامى عن انه لايقال أو يعلن جماهيرياً عن ظاهرة عنصرية الا عندما تتصل بمؤسسة رسمية أو عسكرية..

واذا كان الراب المحترم قد نسي، فاننا لم ننس حادث الضابطة مع المجند العربي الدرزي وقولها له: اننا نقبلكم في الجيش فقط حتى لا تنضموا الى «حماس»، وحادث الضابط مع المجند البدوي، وحادث ضابطة الشرطة مع الشرطي العربي في يافا، وقولها له: نحن لا نطيق الدروز فكيف نطيقكم انتم العرب. وحادث المدرس الذي اوصى بعدم التصادق مع العرب، وحادث - الكتاب الذي ينز عنصرية، ويكفي ان تجد فيه مثلاً «والجولان لنا»، وكان حظر توزيعه على الطلاب للمطالعة، بعد انكشاف مضمونه العنصري، واخيراً، وليس آخراً بالتأكيد، حادثة الطالبات العربيات في جامعة القدس اللواتي أقدم عنصريون على تهديدهن وطلب رحيلهن عن الحي، حتى أن محاولة جرت لاحراق شقتهن وهن في داخلها.

ماذا نسمي هذه الظواهر المتكررة، الا تدخل كلها في اطار التثقيف الذي يتبجح.. يتحدث عنه الراب المحترم، لماذا لم يذكر من هذه الحوادث ولو حادثة واحدة على سبيل الظهور بمظهر الشخص الموضوعي، ولو نفاقاً؟!

من المؤكد ان الراب المحترم لا يعرف ولم يسمع عن الشاعر الذي، دون ان يعرفه، يدين برأيه، «وما أنا الا من غزية أن لمرت»... والراب لاو، مثل اعضاء حكومة نتنياهو، الذين هم على صواب دائماً. والذنب كل الذنب على الآخرين. فاذا توقفت أو تجمدت أو عالت اتفاقية اوسلو سكرات الموت، فان الفلسطينيين هم المذنبون الذين عملوا على قتلها، واذا احتدت العلاقات الاسرائيلية- المصرية، فان المصريين هم المذنبون وهم الذين يحرضون العالم ضد اسرائيل بشأن «خلقة قنبلة نووية» والاردن قد اخطأ خطأ فادحاً لأنه عرقل مهمة رسول السلام الاسرائيلي في القضاء على «المخرب» مشعل، ولا ذنب اكبر من ذنب لبنان لانه لا يستجيب لاسرائيل بالانسحاب من جنوبه، وفوق ذلك، يدعم «مخربي» حزب الله في تطاولهم على الجيش الاسرائيلي الذي لا يُقهر، والذي لا غرض له من احتلال جنوب لبنان الا حماية سكان الشمال الاسرائيلي، ولا مطمع او مطمع له في شبر أرض من جنوب لبنان، ولا في حفنة ماء من مائه.

ويبدو ان التوسعيين الاسرائيليين لا يطمعون في شبر فقط من جنوب لبنان، ولا في حفنة ماء فقط من مائه. والذريعة التي يتذرعون بها لتكريس احتلال الجنوب اللبناني هي ان الانسحاب من طرف واحد وبدون الاتفاق مع حكومة لبنان، معناه جلب حزب الله الى السياج الحدودي بين اسرائيل ولبنان.

ولكن حزب الله في الاسبوع الماضي، فجر هذه الذريعة وفضحها بشكل عملي. ذلك أن مقاتلي حزب الله تمكنوا، في الحادثة الاخيرة، من الوصول الى مسافة مائة متر من السياج الحدودي، وهناك، ومن خرائب بيت مهجور اختبأوا فيه، اطلقوا الصواريخ، لا على بيوت السكن الاسرائيلية، بل على مركبة اسرائيلية عسكرية في داخل ما يسمى بالحزام الأمني.

كان مقاتلو حزب الله اذن، على بعد مائة متر من السياج الحدودي ولم يطلقوا الكاتيوشات على الاحياء السكنية اليهودية التي كانت في متناول يدهم وكان باستطاعتهم ان يطلقوا. فهل سألت الحكومة نفسها أو فكرت لماذا لم يفعلوا؟! اليست هذه رسالة من مقاتلي حزب الله الى حكومة

(البقية على ص ١٦)

● غازي ابو ريا ●



# «الايدز الجديد»

## «انهيار القدرة على التأثير»

الطائرة بلا وقود وركابها ينحدرون الى لقاء مع الجبل. ولا حول لهم، ولا قوة.. السفينة شقت من وسطها. ولن يمنع احد البحر من التهامها، ولا الحيتان شلوقة بالقطع البشرية العائمة امامها.

مواقف لاحصر لها. يقف الانسان امامها مقلساً، غير قادر على التأثير: ولا أظن ان هناك حالة نفسية اكثر صعوبة من لحظة الاحساس بأنك غير قادر على التأثير. يمكنك ان تشعر بالالم بقدر ما شئت، لكنك تشعر بالبلبلة والهزيمة حين تزور مريضاً لا شفاء من مرضه كذلك لحظة وجودك امام من لقدوا عزيزا عليهم.

امريكا تحاصر ليبيا والعراق وكوبا وايران.. تتمزق داخلياً. وتزداد هزيمتك حين تشعر بأن موقفك هو ليس اقل من الصفر، لكنه ليس اكثر منه.. بينما كنت في الماضي، وبمجرد «دعمك» للكتلة الشرقية -تشعر بأنك موجود، وتؤثر في السياسة العالمية، وانت قادر على مقارعة امريكا..

مذابح في الجزائر تهز الضمير حتى «تشله» لكنك تحس بأنك غير قادر على فعل شيء، الا التعبير عن الاشياء بشدة.

ويمكنك ان تستاء على هواك.. وتستعد للاستياء القادم والذي يليه..

هذا الشعور المتنامي في «قلة الحيلة» - وفقدان الاحساس بالقدرة على التأثير.. صار يكبر وينمو ويتمد الى قضايا يستطيع الفرد ان يؤثر بها لو جمعل مع الشعور بعض الجهد وقليلاً من التضحية او التطوّع..

حكومة اسرائيل.. تعربد.. ترتكب كل الحماقات الممكنة. تخترع حماقات.. والشعب ساكت الا طائفة هنا، وجماعة هناك - لماذا هذا السكوت؟ اهو الموافقة؟ كلا بل القناعة المغلوطة.. بأن كل فرد يلغي نفسه، او يرفع يديه مستسلماً.. ويقول للحكومة: وانا لا شيء، المعلي ما طاب لك» وهذا سلوك خطير.. حين يرى الفرد الكارثة ولا يصرخ محذراً.. لو انتبه الطيار الى وضع البنزين في طائرته. فلن يجد نفسه بدون وقود.. ولو رأى احد الملاحين او ركاب السفينة ان في السفينة خلل ونبه اليه لما حدثت الكارثة.

الشعب هنا، يجلس صامتا مكتوف اليدين، كالطالب المؤدب وغير المؤدب في زمن «الكُتّاب» او في زمن المدرسة القديمة. والشعب يعرف ان قطار نتنياهو وزمرته يحمل كل خطط الحرب وادواتها.. ويسير الى جهة القتال، يعطر المناشير في سفره السريع ليأمر الشعب الاسرائيلي: والى الحرب! الى الموت! الى الخراب!، والشعب يقرأ ويفهم ويصدق. لكنه في حالة احباط وخمول ولسان حاله يقول: والحرب.. الحرب. ماذا يمكن ان يفعل مثلي لوقف الحرب؟» ونسي هذا الشعب.. ان مظاهرة النصف مليون في تل ابيب منعت مذابح سنة ١٩٨٢.. ومظاهراته اخرجت اسرائيل من بعض لبنان..

ونسي الفلسطيني ان الحجر حرك قضيته ووضعها على سلم اولويات العالم.

انا عاجز، حالة يصاب بها الانسان، يستسلم الانسان احيانا امام سلوك سيء لاحد ابنائه. يحاول الأب التغيير.. النصح.. يجرب كل الأساليب التي يعرفها، ويصل الى نقطة العاجز: كفى! لا استطيع التأثير.

التعليم العربي مثلا، يعاني من امراض عديدة.. وليست الحكومة طرفا في كلها.. هناك السكري من المعلم العربي، والحسبي من اولياء الأمور العرب.. والسرطان من الجهاز الاداري العربي في الوزارة والصراع مع الطلاب.. وهناك شبه اجماع لدى الأطراف كافراد وجماعات احيانا بأن الموقف: «وماذا يمكن ان افعل امام كل هذه الأمراض. اتركوا المريض للأقدار!!».

الشارع في هذه الحارة غير سالك.. الحفرة تمسك بيد اختها من اوله الى منتهاه، السائق يشتم الرجل بهمهم. والمسؤول لا يسمع الا الاطراء والمديح. لماذا يسوّد المواطن وجهه امام المسؤولين.. ماذا يجدي صراخه لو صرخ!! اذن، حيث لا يمكنك التأثير، من الأفضل ان تسكت.

واسمعوا هذه الحكاية الطريفة، عن الرابي عوفاديا يوسيف.. الزعيم الروحي لحركة شاس. «وقدمت للرابي ارملة فقيرة، وطلبت منه ان يتدخل في قضية لها مع البنك.. فهي غير قادرة على تسديد قرض الأعمار.. والبنك يطالبها بمبالغ هائلة بعد ان عجزت عن دفع الأقساط الأخيرة.. توجه الرابي نحو البنك.. طلب المدير.. وكان ارتباك المدير عظيما امام هذه الشخصية الهامة والمحترمة.. جلس الرابي ربع ساعة ولم يتفوه بكلمة.. والمدير يحضر القهوة.. الشاي.. الكعك..وكل ما توفر عنده.. لكنه صامت ينتظر حديث الرابي.. وفجأة وقف الرابي وتوجه نحو باب الخروج.. عندها لحقه المدير طالبا منه ان يفصح عن غايته من هذه الزيارة.. رفض الرابي الافصاح والحّ المدير حتى قال الرابي: يا بني، انه إثمٌ كبير ان تقول كلمة في مكان لا تؤثر به هذه الكلمة، وراح المدير في استرضاء الرابي متعهدا له بأن طلباته مستجابة. عندها عرض الرابي القضية امام المدير، بُهت المدير.. وقال في ارتباك، لكن هذه القضية فوق امكانياتي، ولا استطيع حلها، عندها عاتبه الرابي قائلا، اعرف ذلك، لكن الحاحك عليَّ جعلني ارتكب إثما. لم يفكر المدير طويلا فقال: أخبر المرأة ان القضية منتهية ولو على حسابي».

قد تكون العبرة عند البعض من هذه الحادثة الحقيقية «لا تتحدث اذا كان كلامك لن يؤثر، ولا تعمل اذا كان عملك لن يؤثر» لكن العبرة التي وجدها كثيرون وانا ايضا، بانه حيث لا يمكنك التأثير يجب ايجاد الطريقة التي تجعلك قادرا على التأثير.. مع الحفاظ على قناعاتك ومبادئك..

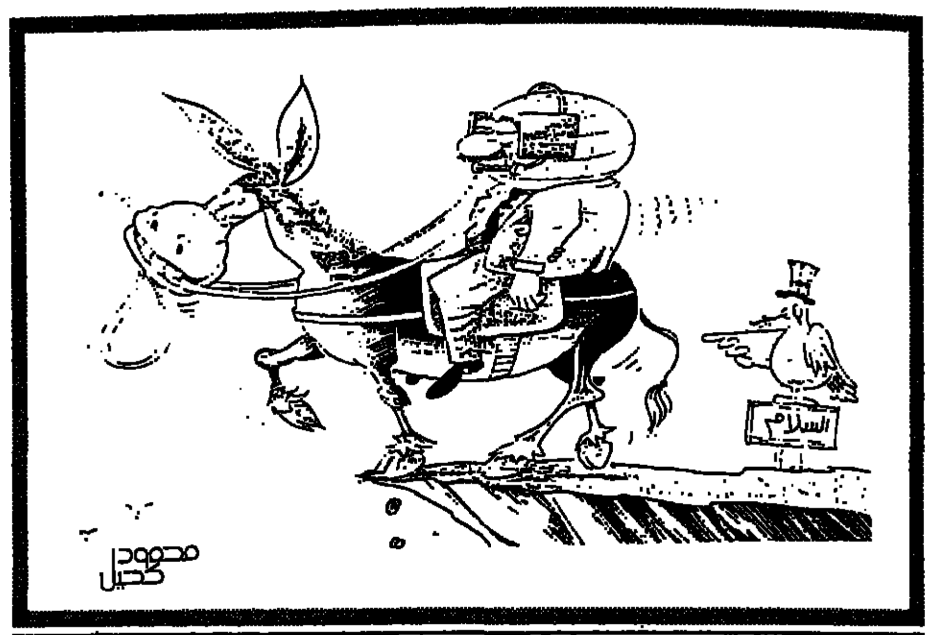
من الخطأ ان تكون الدمقراطية حصنا لأحد.. نسكت على كل اخطائه.. ونعاقبه حين يأتي وقت والتصويت».. هل ينتظر الشعب في اسرائيل - مثلا - حتى يأتي موعد الانتخاب للرئاسة.. وهل يسمح الشعب بأن تقود البلاد الى كارثة بحجة الا يمكن وقف الحكومة الا يوم الانتخابات للمطالبة!!

مئات الشيوعيين عُذبوا في السجون.. كانوا على قناعة بأن كل فرد منهم قادر على التأثير والقاء الحكم العسكري.. وذلك في زمن الاجماع الصهيوني والانهزام العربي.. ثم انتصروا.. والآلاف حملوا على الحزب الشيوعي وأصدقائه لما استشهد من استشهد يوم الأرض، لانهم كانوا على قناعة بأنهم غير قادرين على التأثير.. وهزم هذا الفكر..

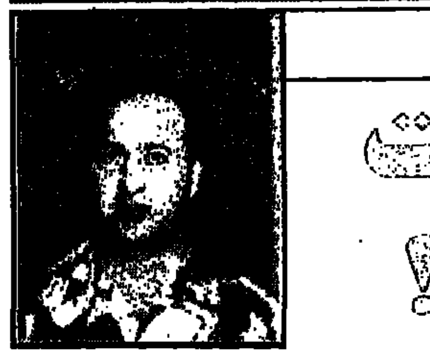
ولا مستقبل لشعب يحس المواطن بأنهم عجزة.. لا حول لهم ولا قوة.. يجلسون القرفصاء بأيد مكتوفة امام قضايا وطنية وجماهيرية ومحلية وعائلية.. وعالمية ايضا.

«واطلبوا الجدوا المرعزا، يفتح لكم».. ولا يضيع حق خلفه من يطالب به».. وأضيف: ولا يكفي ان تعرف الحق، يجب ان تعمل لأجله، ومن يعرف الحق ويسكت اسوأ من الجاهل به».






* سهيل قبلان *



# عسر موت الضمائر!!

كل شيء يموت. والموت رهيب وفظيع. يترك الآلام والاسى والاحزان والغصات. يترك الذكريات. ويتأثر الانسان بمدى علاقته بالميت. والموت انواع، يطال الانسان والحيوان والنبات وكل الاحياء. تموت الزهرة، فتكون موضوع وحي للشاعر، يخلدها بقصيدة.

يموت الحب، فتولد الاحقاد والضغائن.

تموت الامال، فتولد الخيبة. تموت الارادة، فيولد الخمول واليأس والاتكالية. ويموت الوعي، فينتشر الجهل والغباء. يموت الضمير، فتكون المصائب.

كل شيء يموت، حتى الاحساس وتبكيت الضمير. واخطر انواع الموت غير الحتمي والطبيعي، موت الضمير. امر رهيب ان لا يأبه الانسان لصوت ضميره.

والافظع ان يميت ضميره!! ان يخفت صوت ضميره، ينقطع فلا يبلغ الاذن.. الموت الطبيعي مفهوم، لكن الموت المفروض المدبر المتعمد، غير مقبول ولا يحتمل وهو ناجم عن موت الضمير في الانسان.

ولماذا يموت الضمير؟ لماذا تتبلد المشاعر وتتحجر الاحاسيس وتموت العواطف في «الانسان» تجاه الانسان؟ لماذا يصعب على الانسان نشر المحبة وترسيخ التعايش ويسهل عليه الترويج للحروب وبذر الاحقاد وزرع الدمار؟

ولماذا تكثر حشود المتفرجين في مناسبات واحداث كثيرة؟ تسير مظاهرة احتجاجا على مصادرة ارض او دوس حق او هدم بيت او لتحسين اوضاع معينة، في مدرسة او قرية او مصنع، فترى حشود المتفرجين كثيرة. ما الذي يمنعها من المشاركة خاصة ان المتظاهرين يطالبون بشكل عام ومن اجل الجميع، فالنضال ضد مصادرة ارض او النجاح في لجم الغلاء او رفع الغبن والظلم هو في صالح الجميع المتضررين من الغلاء والظلم.

اليس الوقوف متفرجا رغم ما يراه بام عينيه ويلمسه على ارض الواقع، ينطوي على نوع من بطء تحرك الضمير؟ لا اقصد المغلوب على امره او الانسان العادي، انما الذي يدرك جوهر الاشياء ولا يبالي.

لقد مات نظرية بنيامين نتنياهو المبنية على شعار «السلام والامن معا»، فلا السلام تحقق ولا الامن ترسخ، لا لاسرائيل ولا للمنطقة. ورغم ذلك، يواصل قيادة شؤون الدولة!! لقد امتدت واستطالت سلسلة الاخطاء التي اقترفها وارتكبها، تلطخت بالدم لكنه لا يزال يقود شؤون الدولة. يتمسك بنظرية دغائية وهمية، متسلطة عن الواقع، ورغم ذلك، يواصل القيادة المغامرة متقلبا ومتشجعا من ميوعة مواقف «العمل» و«ميرتس» وتخاذل وصمت الزعلانين والملونين والنفعيين من اعضاء في الائتلاف. سقطت وفشلت نظريته، لانه يريد تحقيق «الامن» للاسرائيلي على حساب معاناة وتشريد وقمع الفلسطيني!! متناسيا ان الامن لجميع الشعوب واحد لا يتجزأ.

والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لا تقف المعارضة وقواها المختلفة بكل قوة وصحوة ضمير ضد سياسة نتنياهو التي تقود المنطقة نحو العنف والازمات والعداوات والحرب؟ لماذا هذا الصمت؟ لماذا لا تترجم الاقوال الى افعال؟ يوميا نسمع الانتقادات لنهج نتنياهو المغامر، من رئيس الدولة حتى الفتى في الشارع، حتى اعضاء في «الليكود»، فلماذا كان شهد شاهد من اهله ان «رب البيت» فشل في سياسته ورئاسته للحكومة، الامر الذي دفع المقربين ووزراء في الحكومة الى انتقاده والتحذير من نهجه واستمراره. فكيف يتغاضى الشعب في اسرائيل عن اخطاء، وعربدة وعنجهية نتنياهو؟ لماذا لا ينحيه عن منصبه لانه ببساطة غير ملائم؟ الا يعتبر استمرار نتنياهو في منصبه رغم ما كدسه من اخطاء وفضائح واعمال عربدة ونقض للوعود، بمثابة دليل على ان حشد المتفرجين كبير وبه صمم عن صوت الضمير؟ هل انعدم تبكيت الضمير وتعمقت اللامبالاة ازاء ما يجري في الدولة والمنطقة؟ ولماذا؟

انه امر مثير للاستغراب ،كيف يبارك احيانا كثيرا حشد غفير من الشعب الاسرائيلي خطوات غير صحيحة لرئيس الحكومة؟ والمثير للقلق، اتساع فئة المتفرجين والانكى من ذلك، سعي فئات من بين المتفرجين، احيانا كثيرة، للتخريب على النضال الهادف الى وضع حد لنهج عام مغامر للحكومة، او افشال نضال في قرية او مدينة او مصنع ما، الا يدل ذلك على احتضار الضمائر؟

يسعى نتنياهو لتحقيق السلام المزيف الهش المتخلخل المهزوز القائم على العربدة والبطش والقمع والاذلال والمعاناة. فماذا سيكون حكم التاريخ على اولئك الذين بامكانهم وضع حد لاوهام نتنياهو ونقله الى طريق الصواب، وللأسف تخاذلوا وتقاعسوا وفضلوا الكرسي الوثير والراتب المغري المتخم، على صون مستقبل المنطقة كلها؟ اين ضمائر الذين تعز عليهم قيم السلام والتعايش والتآخي ونبذ الحروب؟

لماذا يموت الضمير او يأكله الصدأ؟

في بيت جن معركة دفاعا عن الارض وضد سياسة السلطة بكافة اذرعها المعدة لنهش الارض، وقعت عدة مواجهات مع الشرطة. وللاسف هناك حشد من المتفرجين، يقفون على الهامش، منهم من يحمل الالقاب الاكاديمية، يتخاذلون في الوقت الذي تريعهم تآذيهم، والانكى انهم يصدرون بيانات الاستهتار بالنضال!! رؤساء المجالس المحلية الدرزية بغالبيتهم يضغطون على بيت جن لوقف النضال الذي اطلق عليه البعض وبدون حياء اسم «شوشرة»، فاذا صار النضال «شوشرة» في عرف البعض، فهل هذا دليل على صحوة الضمير أم موته؟ لجنة متابعة قضايا التعليم العربي تخوض نضالا وتنظم المظاهرات لتحسين اوضاع التعليم، لكن الضمير في وزارة المعارف تبختر وطارا! ولكن هل المشاركة العربية، خاصة رؤساء المجالس واعضاء الكنيست مرضية وكافية وبمستوى الحدث؟

كل شيء يموت، لكن الويل لنا ان نقبل بموت الضمائر، او ان نرضى ان نكون امواتا ونحن احياء!!

فل وفلفل* يوسف فرح *



* ما لهذه الاسابيع تقصر كثيرا على غير عادتها، كانها غمرت في ماء يغلي فما تكاد تفرغ من كتابة مقالك الاسبوعي، حتى يفاجئوك: تسلم مقالك بعد غد يا رفيق!

تضطر الى تشغيل ازرار الطوارئ كلها، كما في طائرة امام عاصفة هوجاء، اعياد ابناء عمنا كانت هي العاصفة، بدءا براس السنة، مرورا بيوم الغفران وانتهاء بنصب العرائش.

ويوم الغفران هذه السنة رافقه كما في كل سنة نزول مئات «المتطوعين» (لوجه الله) الى الشوارع، للتربص بكل سيارة سائحة، وتحطيم ما يمكن تحطيمه فيها من بشر وزجاج، لا فرق بين سيارة يهودي وسيارة عربي، فاين التمييز!! فكل سيارة تتجرأ على انتهاك حرمة اليوم المقدس، تستحق الرجم! فاي عقاب يستحقه راجم الحجارة، ام ان الرجم لا يعتبر انتهاكا! ومع ذلك لا تقلقوا، فاذا كان الرجم والتكسير والاصابة خطيئة، فان دجاجة يررها ذو لحية وكيباه فوق راسك في الغفران القادم، كفيلة بمحو آثامك، ما تقدم منها وما تأخر!

ترتفع مستوى نشاطك الى الخط الاحمر، اتقاء للمفر والمرور في حي يكمن فيه «جند الرب» المدافعون عن شرفه تطوعا، فغيرك يحاول اتقاء الالغام!

والالغام منها حقيقية، وتعارض امريكا ازالتها طالما ان في اسيا وافريقيا بشرا ما زالوا يمشون على اثنتين! ومنها مجازية تتمثل في مراكمة العراقيل على درب العلاقات بين الدول. وما عودة السفير الكندي الى تل ابيب بعد زعلة قصيرة، الا نوع من ازالة ولغم» الجوازات الكندية التي حملها رجال الموساد، لتكون دخانا يغطي انسحابهم من حلبة الجريمة في «عرين الحسين»، بدأت الازمة لغما، وانتهت «بيوسة لحية، ارخص من دجاجة الغفران!

فهل العالم كله حقل الغم؟!

في الجزائر يسير «مشروع» الذبح (كمشروع تنظيم الاسرة مثلا) على قدم وساق! كان الدم والساق الاخرين طارنا بفعل لغم مضاد للافراد! هل سمعتم بوحش اخترع اشراكا مضادة لنوع واحد من فرائسه! وبع ذلك نظل نتحدث عن «الانسان المتوحش»!

وفي مصر، وبدل الحلقات الفكرية والمنتديات الادبية التي ازدهرت في يوم من الايام، تنشأ «كتائب الرعب، وواضح من تسميتها انها لن توزع الفول و الكشري والطعمية على جياع مصر، واول نشاط لها كان قتل عشرة شرطيين ومدني واحد!!

وفي عتمة هذا الليل العربي الدموي، تجري اسرائيل مفاوضات مع تركيا، لبيع ثلاثة آلاف دبابة حديثة!

فتركيا بحاجة ماسة لسلاح متطور، واسرائيل بحاجة ماسة لاحاطة سوريا بحقل الغام للضغط عليها وتفجيرها ان امكن، فلا يجد الاشقاء العرب سوى «طقع» التصريحات!

ولنضرب مثلا.

اعتقدت مصر في البداية ان المناورات الاسرائيلية التركية الامريكية، تشكل تهديدا لدول المنطقة، ولكن سرعان ما تبدد الخطر! فالرئيس التركي حضر بنفسه الى مصر، طمأن الرئيس المصري، وسيادته قام بطمأنة اخوانه الرؤساء العرب، وهكذا لم تعد تلك المناورات تهدد احدا، واظن انه سيكون للشقيقة الكبرى نفس الموقف عندما يؤكد لها اي «دلس» ان مؤتمر الدوحة الاقتصادي، ليس فقط غير ذي خطر، بل هو ضرورة وطنية ملحة، وبالذات بفضل المشاركة الاسرائيلية فيه، وللمتقدم من يشاء، وليحجم من يشاء!!

مضحك امر العلاقات العربية ببعضها وبغيرها. اسرائيل تعقد الاحلاف وصفقات السلاح مع امريكا، فيكون رد الفعل العربي مزيدا من العلاقة مع «الست صديقة» - امريكا. اذن ما الذي يجعل امريكا تغير مواقفها، ما دامت تحظى بمحبة صهيون، وفي نفس الوقت بعشق المشيخات العربية (ملكيات وجمهوريات وسلطنات).

كان هذا العالم يخلو الا من امريكا والامريكيين!

فاين علاقاتكم مع اليونان والهند وكوريا وفيتنام وكوبا والصين.

هل من الصعب اذا تلاشى الاتحاد السوفييتي، ان تخلقوا اتحادا سوفييتيا جديدا، وتجعلوا منه ومنكم وزنا موازيا لوزن والبرد» الامريكي الذي هو سبب كل علة!!

واذا كانت اسرائيل قادرة على الضغط عليكم من «الباب العالي» التركي، الليس بامكانكم الضغط عليها وعلى غيرها من الباب اليوناني او القبرصي او.. الايراني! لا تجفلوا، ولا تخشوا تهمة الارهاب، فكل طفل بات بامكانه تحديد مواقع الارهاب الحقيقي، شريطة ان يتحلى ببعض الشجاعة!

(حتى بعد عملية عمان ما زال نتنياهو يتحدث عن الارهاب العربي!!)

قبل اختراع اسوار الباطون حدودا بين الحواكير القروية، كانت تزين تلك الحدود اشجار مثمرة من الرمان والتين والكرمة. وكانت هذه الاشجار تلقي بظلالها وثمارها على الجانبين، فيتقاسم الجاران الثمر، «كل واحد من تلاه» اي ياكل الثمار المدلاة من ناحيته، وبعد ان اخترعت اسوار الباطون المسلح، الصلبة والجافة، تباعدت القلوب وتباعد الناس، فالباطون لا يؤكل، وعلى مستوى الدول، يرسم القوي الحدود . وفي عز النشوة التي سكر بها حكامنا بعد وضع حروب «ناجحة»، رسموا الحدود بينهم وبين الفلسطينيين على النحو «العادل» التالي: للنهر ضفتان «واحدة لنا، اما الاخرى فكذلك لنا!

ولا ادري ماذا يطبخ تجار القطع البشرية على نيران احقادهم واطماعهم، ولكن تجزئة العراق الى اكثر من كيان تبدو امرا محتملا ان لم يكن واقعا بالفعل، وكل واحد من تلاه، اتفاق القرويين غير المكتوب.

يطبق الجيران عليه من كل ناحية، فللاسبوع الثالث على التوالي يستمر اجتياح تركي، موسم الصيد بدأ، واللحم الكردي للذبذ مطبوخا على صاج سجون انقرة واستنبول، ومشويا على نيران الفانتوم والمركفاة (٨٠٠)

فريسة تمرغت في التراب، ولا تبدو عودة الصيادين الاتراك وشيكة. واذا كان اللحم الكردي لا يسد النهم، فها هي الطائرات الايرانية تقوم باكمال مهمة الصيد، فتلاحق «مجاهدي خلق» المعارضين، على ارض العراق ايضا ، وكل واحد من تلاه!

ولعل المفارقة النازفة في الماساة الكردية، انه في حين تقوم القوات التركية بقتل بعضهم، يقومون هم بقتليل بعضهم ايضا!

يقيني انه اذا ما طال هذا الليل العربي، فلسوف تتحول الدول العربية كلها الى حواكير مشاعية يقتطع منها الطامعون- لا الجيران الطيبون- ما يشاؤون.

ومن ناحيتي، قسم انتهائي من مقالتي هذه ساشرع بمقالة اخرى قبل ان يفك «ابناء عمنا» اعراشهم خارج منازلهم، وقبل ان تقصر الاسابيع كما قصرت قبلا!

## عالخفيف

### «عيفونا»

كأن تعبث الغراب المتربص بأسماعنا في السيارة وفي غيرها، في الليل والنهار ليس كافيا، حتى بادرت شركة الكوابل في بلدنا الى ربط اسماعنا بصوت اسرائيل من اورشليم - القدس!!

# شكراً! نتعهد!

لجميع الاعضاء الجدد الذين انضموا الى أسرة مكابي خدمات صحية الكبيرة والمترابطة والمتنامية. وهنيئاً لاعضائنا الجدد ولاعضائنا الاوفياء بهذه [illegible]

- بالاستمرار في تقديم خدمات طبية شاملة من خلال فروعنا الطبية الحديثة والمجهزة باحدث الاجهزة والمعدات وباشراف أمهر الاطباء والاخصائيين.
- على الاعتناء بكم بحرارة والاستمرار في الانصات اليكم. استقبالكم بالابتسامة والمعاملة الشخصية اشعاركم بالأمان والاطمئنان والتسريع بمعاملاتكم توفير تغطية طبية شاملة ونوعية كما عودناكم.
- [illegible] مستوى [illegible] من الخدمات الطبية لكم ولجميع أفراد أسرتكم [illegible] سرة مترابطة [illegible]



## صندوق المرضى الاجدى والافضل

استناداً لجميع المعطيات وجد طاقم اوبيكتيف [illegible] مكابي [illegible] المرضى [illegible] وفروع م[illegible] يضمن لكم ولافراد اسرتكم تغطية طبية الاجدى والافضل. علاقة وطيدة بين الصندوق والب[illegible]صات الم[illegible] تشك[illegible] في [illegible] خدمات نوعية وباهتمام خاص. انضمامكم الاوسع.خدمات وانواع العلاج. تكلفة اساسية والاهم- خدمة مريحة ومؤدبة ذات جودة.حاصل الخدمات. الاسعار المعاملة . التغطية الطبية وكل ما نتلقاه مقابل ما ندفعه يُزكي "مكابي خدمات صحية" بلقب "صندوق المرضى الافضل" [illegible] مكابي خد[illegible] بصحتكم مرتبة اضافية ...

الى المرتبة الأولى .. فاهتنوا...

صحتك ب[illegible]

# حقائب المدارس عندما تسبب اوجاع الظهر

## اجرت اللقاء: ابتهاج مجلي

● يجب عدم الاستهانة بالام الظهر عند الاطفال والفتية. فاذا شكا احدهم من الم في ظهره مهما كان نوعه يفضل عرضه على طبيب مختص لمعرفة سبب الالم.

هذا ما اوصى به الطبيب عوني يوسف اخصائي جراحة العظام والمفاصل عند الاطفال في المقابلة التي اجريناها معه في اعقاب نشر نتائج البحث الذي اجرته لجنة المعارف في مركز الحكم المحلي حول اضرار الوزن الثقيل للحقيبة المدرسية على سلامة ظهور الطلاب والتي بينت ان ٣٣٪ من طلاب صفوف التواسع في البلاد يعانون من الام في الظهر وكان الحمل الثقيل للحقيبة احد المسببات لذلك.

ونذكر القراء بان لجنة اخرى عينت فيما بعد لفحص الموضوع وخرجت بعدة توصيات منها تخفيف وزن الحقيبة من الكتب والدفاتر بشكل لا يتعدى ١٠٪ من وزن الطالب.

ما هي مسببات هذه الاوجاع؟

وكيف يمكن

التخفيف منها؟

وما هي الطرق

الصحيحة لتلافيها؟...



«الاتحاد»: لناخذ في البداية فكرة عامة عن الاسباب التي تؤدي لاوجاع الظهر؟!

– د. عوني: هناك عدة اسباب لذلك ويمكن تقسيمها الى خمس مجموعات. الاولى– مشاكل في عملية نمو وتطور الجسم وعدم تطور صورة الاغذاء المطلوب للعمود الفقري.

حدوث تغيرات في مبنى الفقرات والمعروفة باسم مرض «شويرمان» على اسم مكتشفه.

هذه الحالة تسبب الاما شديدة في جيل (١٠) سنوات فما فوق. والمجموعة الثانية – مشاكل ميكانيكية، منها: انزلاق فقرة عن فقرة اخرى في العمود الفقري ممكن ان يكون بسيطا وممكن ان يكون صعبا. حدوث «ديسك» عند الاطفال (والديسك عبارة عن مادة غضروفية موجودة بين الفقرات). حدوث انزلاق في صفيحة النمو في العمود الفقري.

المجموعة الثالثة– ظهور اورام سرطانية خبيثة او غير خبيثة. اما المجموعة الرابعة فهي اسباب نفسية قد تؤدي الى ظهور الام في الظهر وصعوبة بالاغناء. هذا اضافة الى ان هناك اوجاعا اخرى للظهر مازالت مجهولة الاسباب.

«الاتحاد»: ما هو تاثير وزن الحقيبة الزائد في كل ما ذكرته؟!

– د. عوني: يمكن نسبها للمجموعة الثانية. لان الحمل الزائد بالذات، فوق الظهر والحديث هنا، عن الحقيبة المدرسية يزيد من الالم الذي يسببه مرض «شويرمان» اذا كان موجودا عند الطالب. ايضا بسبب الحمل الزائد قد تظهر لدى بعض الاطفال والفتية «حدبة» في اعلى الظهر خلال المشي والحركة وتختفي عادة بعد نزع الحقيبة. ومن الحمل الزائد ايضا قد تحدث بعض الانزلاقات بين الفقرات خاصة عند الطلاب الذين تلقوا ضربات خفيفة في الماضي بالظهر واختفت في حينه دون مشاكل. فالحمل الثقيل يوميا قد يكشف عنها بحدوث الانزلاق المذكور.

«الاتحاد» مشاكل الوزن الزائد للحقائب المدرسية واضراره على الوضع الصحي للطلاب اثيرت من عدة جهات رسمية هذه السنة، بينما هذا الوضع كان قائما كل الوقت؟!

–د. عوني: اعتقد ان زيادة الوعي بين الاهل والمربين والناس عموما للامراض بما فيها امراض الظهر او المسببات له هي الدافع لذلك. هذا الى جانب التقدم الطبي والعلمي وزيادة كادر الاطباء المختصين بشكل خاص في الوسط العربي، فاقبال الناس لتلقي العلاج واجراء الفحوصات بازدياد مستمر وهذا مؤشر جيد.

«الاتحاد»: متى يعتبر وزن الحقيبة زائدا عن الحد؟!

–د. عوني: في الحقيقة لا توجد معايير محدودة لذلك بالكيلوغرام. لان هذا يتعلق بالجيل وبالوضعية العامة والصحية لكل طالب وطالبة.

«الاتحاد»: وما هي التاثيرات السلبية للحمل الزائد فوق الظهر؟!

– د. عوني: الحمل الزائد بشكل عام، يؤثر على كل العمود الفقري من الرقبة وحتى اسفل الظهر. هذا اضافة الى احتمال التسبب في الامراض التي ذكرتها والى احداث تغيرات في مبنى التركيبات الداخلية لعضلات الظهر.

«الاتحاد»: هل يفضل استعمال نوع معين من الحقائب؟!

د. عوني: اطهم ان تكون من النوع الثابت فوق الظهر خلال المشي والحركة.

«الاتحاد»: توصية لجنة المعارف بتخفيف وزن الحقيبة ماذا تساعد؟!

–د/عوني: اذا نفذ ذلك سيساهم في الحفاظ على سلامة العمود الفقري ويمنع التسبب في كثير من المشاكل الصحية في الظهر في المستقبل.

«الاتحاد»: بماذا توصي مديري المدارس والمربين والاهالي للحفاظ على سلامة وصحة ظهور الطلاب؟!

– د. عوني: اضافة الى تخفيف الحمل اليومي الزائد من كتب ودفاتر، هناك عادات صحية ايجابية يجب اكسابها للطلاب اينما ذهبوا وهي طريقة الجلوس والوقوف الصحيح والثابت الى جانب توفير المعدات اللازمة لذلك من مقاعد واثاث مدرسي، هذا اضافة الى عدم تجاهل او اهمال اي شكوى من اوجاع الظهر.

# الانهيار العصبي اضطراب يصيب ايضا الاطفال والمراهقين

لا يزال الاهل والمربون والاطباء يجهلون طبيعة الاضطرابات العصبية عند الطفل او المراهق وغالبا ما يخلطون بينها وبين «ازمة المراهقة» ويستخفون بها رغم انها تشكل خطرا على الاولاد ويمكن ان تؤدي بهم الى الانتحار.

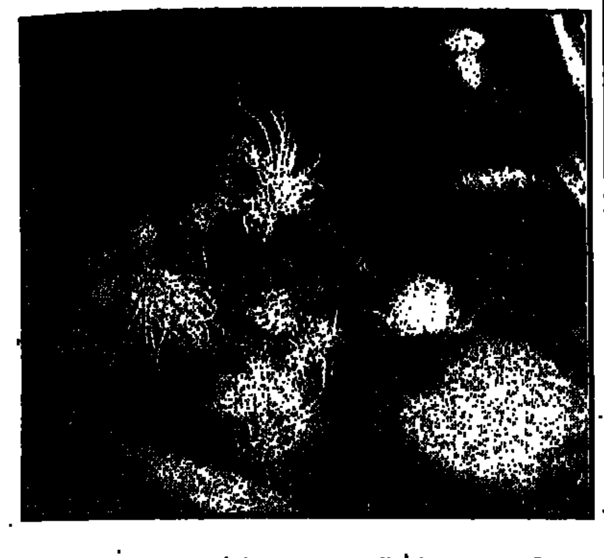
ويعتقد الاطباء والعامة ان المراهق لا يمكنه الا ان يكون «سعيدا في الحياة» اذ هو من دون «هموم ومسؤوليات» وغالبا من دون «افكار سود»، فكيف بالحري اذا كان لا يزال في سن الطفولة.

وقال المحلل النفسي البروفسور مانويل بوشار من مستشفى «شارل بيرينس» في بوردو (فرنسا) خلال اجتماع لاخصائيين غربيين عقد في سان بيترسبورغ (روسيا) ان هذه الفكرة لم تتبدل الا بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يتم الاعتراف بحصول تلك الاضطرابات العصبية (عند الاطفال والمراهقين) الا عام ١٩٧١ خلال مؤتمر عقد في استوكهولم.

وبات احتمال اصابة المراهق او الطفل بانهيار عصبي «امرا مقبولا نظريا»، لكن كشفه ومعالجته لا يتمان الا في وقت متأخر. فاضافة الى الافكار الخاطئة التي لا تزال سائدة يصعب التعرف على الانهيار العصبي بسبب عدم وجود مؤشرات اكيدة اليه.

وفي الواقع فان هذه الاشارات ومن بينها الخوف من الانفصال والام البطن عند الاطفال والاضطرابات الغذائية والميل المفرط الى النوم والتراجع المفاجئ في الدراسة عند المراهق يمكن تفسيرها خطأ بالنمو او بخلل ما في مرحلة المراهقة.

من جهة اخرى، تعتبر الكآبة عند الصغار وعدم الشعور بالفرح والفشل المدرسي والانزواء او هروب المراهقين من المنزل وتعاطيهم المخدرات والكحول عوارض معبرة.



## الثوم في مواجهة الامراض

* تحت عنوان «تناول الثوم يبعدك عن الطبيب» صدر كتاب جديد في الصين، يؤكد على اهمية الثوم في الحفاظ على الصحة اضافة الى كونه مادة مغذية وله وظائف طبية متعددة.

جمع الكتاب اكثر من ثلاثمئة وصفة شعبية كان الثوم عنصرها الاساسي. واشار الكتاب الى ان هذه الوصفات ذات فاعلية ضد مائة مرض من الامراض الشائعة بما في ذلك الامراض الجلدية وامراض الاطفال وحتى الاورام الخبيثة...

## ارتفاع مخاطر السمنة لدى الاطفال الذين يعاني الوالدان منها

● اكدت دراسة نشرتها مجلة «نيو انغلند جورنال اوف مديسين» الامريكية المتخصصة ان مخاطر الاصابة بالسمنة في سن البلوغ لدى الاطفال الذين يعاني والداهم منها، تزيد بنسبة الضعفين عن لدى غيرهم من الاطفال.

واكدت الدراسة انه اذا كان الوالدان لا يعانيان من السمنة فان اطفالهما يواجهان مخاطر قليلة جدا في الاصابة بهذا المرض في سن البلوغ حتى وان كانوا يعانون منها تحت سن الثالثة من العمر.

وفي المقابل، فان الاصابة بالسمنة لدى جميع الاطفال الذين يفوق عمرهم ثلاث سنوات، تنذر باصابتهم بها في سن البلوغ، وذلك لاسباب متعلقة بنمط الحياة وبالعادات الغذائية. وشملت الدراسة ٨٥٤ شخصا ولدوا بين ١٩٦٥ و ١٩٧١، واشرف عليها فريق من جامعة سينسيناتي.

وقال الطبيب كلود بوشار من جامعة لافال الكندية تعليقا على الدراسة انه «يتعين على الاطباء ان يكونوا حذرين في التدخل في النمط الغذائي للاطفال دون سن الثالثة والذين لا يعاني والداهم من السمنة». اما في الحال المعاكسة فيجب اتخاذ تدابير وقائية كاتباع انظمة غذائية محددة والتشجيع على ممارسة التمارين الرياضية.

لكنها لا تلبر من الانتباه ما يكفي.

وغالبا ما يتطلب امر التعرف على الانهيار العصبي اشهرا عدة في حين ان ١٥ يوما تكفي ليتمكن اخصائي من كشف الحالة، وهذا التاخير في اكتشاف الانهيار العصبي من شانه ان يجعل المريض يواجه خطر الانتحار.

وجاء في دراسة امريكية اعدت عام ١٩٨٠ في وقت كان الانهيار العصبي يطاول ٢.٥٪ من الاطفال (بين ٧و ١١ عاما) وما بين ٧ و٨٪ من المراهقين، ان حوالي ٧٠٪ من المراهقين المصابين بانهيار عصبي لم يتم التوصل الى تشخيص حالتهم.

وعدم اكتشاف المرض في مراحله الاولى امر خطير جدا اذ يعتبر الاخصائيون ان ما بين ٧٠ و ٨٠٪ من الاولاد الذين تراوح اعمارهم ما بين عشرة اعوام وعشرين عاما وحاولوا الانتحار كانوا يشكون من عوارض اضطراب عصبي.

ويشكل الانتحار في فرنسا السبب الثاني للوفيات بين الاشخاص الذين تراوح اعمارهم ما بين ١٥ و ٢٥ عاما، بعد حوادث السير. وثمة ١٥٠٠ حالة وفاة بالانتحار ضمن فئة العمر هذه من اصل ١٢ الف حالة وفاة بسبب الانتحار تسجل سنويا في فرنسا. كذلك يحاول نحو اربعين الفا من الفئة نفسها الانتحار.

وتزداد محاولات الانتحار بين الفتيات لكنها غالبا ما تكون اخطر عند الفتيان اذ ان نسبة الوفيات لديهم في هذا المجال تفوق النسبة لدى الفتيات بعشرة اضعاف. وفي معظم محاولات الانتحار، تستخدم العقاقير، فضلا عن زيادة نسبة اللجوء الى «الطرق العنيفة» كالشنق او القفز من علو او استخدام السلاح.

ويقول البروفيسور بوشار ان «القلق الاكبر بعد محاولة انتحار فاشلة هو تكرارها وهذا ما يحصل في ٦٠٪ من الحالات».

وكشف المحلل النفسي ان «محاولات الانتحار لدى الصغار اقل بكثير مما هي لدى الكبار، لكنها تبنى مباشرة تصورنا للطفولة وتذكرنا بان المعاناة النفسية موجودة في هذا العمر واشد قسوة مما هي عليه في اية مرحلة اخرى من الحياة».



### هوية بريطانيا الجديدة في مرحلة ما بعد الامبراطورية

# بلير يطلق اكبر عملية تغيير دستوري في بريطانيا منذ ٣٠٠ عام

□ بدء نهاية «ميثاق الوحدة» الموضوع عام ١٧٠٧ □ ترتيبات لالغاء العضوية بالوراثة في مجلس اللوردات البريطاني □ اجراءات الحكومة العمالية شجعت على اثارة مطلب الغاء النظام الملكي □ مفاوضات تاريخية متعددة الاطراف حول مستقبل ايرلندا □ بلير اول رئيس وزراء بريطاني منذ عام ١٩٢١ يجتمع الى زعيم الجيش الجمهوري الايرلندي □

* بقلم: صالح ابداح *

تزداد شعبية رئيس وزراء بريطانيا، طوني بلير، في بلاده، بعد ان بدأ بتطبيق برنامج حزب «العمال» الانتخابي، الذي اوصل اصغر رئيس للوزراء (٤٤ عاما) منذ نحو قرنين الى الحكم في بريطانيا، في الاول من ايار الماضي، خاصة وان بلير، وقيادة حزب «العمال» الشابة مقتنعان بانهما سيقودان بريطانيا في مرحلة ما بعد الامبراطورية من خلال اعطائها هوية جديدة.

وعرض بلير في الاسبوع المنتهي باكثر قدر من الوضوح مهمته الاصلاحية، خلال مؤتمر حزب «العمال»، مؤكداً ما طرحه في اواسط شهر ايلول الماضي، امام مؤتمر اتحاد النقابات العمالية، من ان التحديث هو جوهر سياسة حكومته، «وهو جوهر جيلنا الذي تغلب عليه رغبة في بناء بريطانيا محررة من كل الافكار المسبقة القديمة».

ويعتبر بلير ان لبريطانيا ركائز اربعاً وهي اقتصاد يتلاءم مع السوق الشامل الجديد ودولة الرعاية الاجتماعية ومؤسسات حديثة وهوية محددة بوضوح ودور محدد للعالم الخارجي، اي ان برنامج بلير لبناء المجتمع البريطاني المتحرر من رواسب افكار الامبراطورية العظمى. ومن خلال هذا البرنامج يطمح بلير الى التوفيق بين الليبيرالية والحماية الاجتماعية والتقرب من طموحات الطبقة الوسطى.

## □ اكبر تغيير دستوري منذ ٣٠٠ عام □

وسجل حزب «العمال» البريطاني نجاحاً باهراً بفوز الـ «نعم» في إستفتاء الحكم الذاتي في اسكتلندا الامر الذي شكل مرحلة اولى من عملية تحديث عميق لبريطانيا. اذ فتح هذا الاستفتاء الطريق امام انشاء برلمان في اسكتلندا حتى العام الفين.

وتعتبر نتيجة الاستفتاء اكبر تغيير دستوري منذ (٣٠٠) عام، والذي اعقبه استفتاء آخر في ويلز (٩٣/٩/١٨) نتائجه تؤكد تأييد الحكم الذاتي، على ان ينتخب الويلزيون اعضاء برلمانهم الـ- ٦٠ عام ١٩٩٩.

ويعتبر بلير ان «نعم» اسكتلندا وكذلك ويلز هما خطوتان مهمتان في اتجاه تحديث الدستور الذي يتضمن مركزية كبيرة، وباتت بريطانيا على طريق اكبر انقلاب في مؤسساتها منذ «ميثاق الوحدة» الذي اسس عام ١٧٠٧ الدمقراطية البرلمانية وضم اسكتلندا الى انجلترا.

عملية الاصلاح الجذرية للحياة السياسية البريطانية التي بدأتها الحكومة العمالية، رغم انها تخاطر بفتح الباب لمطالب حساسة، ستستمر باستفتاء على الحكم الذاتي في ايرلندا الشمالية في ايار القادم (١٩٩٨)، وفي الشهر ذاته يجري استفتاء يتعلق بانتخاب سلطة محلية للعاصمة لندن، التي حرمتها رئيسة الوزراء السابقة مارغريت تاتشر، من بلديتها.

وفي هذين الموضوعين، اذا لم تتغير الموازين والظروف فان الحكومة العمالية برئاسة بلير ستزيد من رصيدها بين صفوف الشعب البريطاني، ولكن المواجهة والعقبات ستكون هائلة السنة القادمة عندما تبدأ عملية تحديث مجلس اللوردات، من خلال الغاء العضوية بالوراثة، وتعديل قانون انتخاب اعضاء مجلسي البرلمان البريطاني.

## □ مطالب حساسة شرعية □

مع بدء عملية التحديث الشاملة بدأ الشعب البريطاني باثارة مطالب حساسة شرعية رغم انها لا تزال ثانوية، ابرزها واهمها الغاء النظام الملكي الصوري، الذي يعتبر عبئا على خزينة الدولة وجيب المواطن العادي.

ولاحظ قصر باكينغهام القطيعة بين العائلة المالكة والشعب خاصة اثر الشائعات التي سرعان ما تحولت الى حقيقة حول الخلافات بين هذا الامير وولي العهد ذاك، وتوجت بقصة الاميرة ديانا وتشارلز، التي انتهت بالطلاق... وجاء حادث مصرع الاميرة ديانا ليستغله قصر باكينغهام من اجل ان يجدد الشعب البريطاني العهد للنظام الملكي، وعملياً وبشكل مؤقت نجح القصر في هذه المهمة، التي لم تدم طويلاً، فبعد اقل من اسبوع على تأييد الاسكتلنديين الحكم الذاتي باكثرية واسعة، طالب الانفصاليون منهم بتنظيم استفتاء جديد يتناول النظام الملكي هذه المرة.

وتساءل قادة غلاسكو الانفصاليون عن سبب بقاء الملكة اليزابيث الثانية رئيسة دولة في مقاطعة صارت تتمتع بالحكم الذاتي.

ويبدو ان رأي الحكومة العمالية يتماثل، ايضا، مع الرأي الداعي الى الغاء النظام الملكي. ودل على ذلك رفض الحكومة بشكل غير مباشر، العمل على تحديث اليخت الملكي التابع للملكة اليزابيث الثانية الذي يكلف ملايين الجنيهات الاسترلينية، ولكن خطوة من هذا النوع تحتاج الى عملية استئصال عادة تقليدية راسخة في وعي المواطنين، وبينهم مسؤولون مما يتطلب اقناع العائلة المالكة الزائلة بشرعية المطلب.

## □ مفاوضات تاريخية حول مستقبل ايرلندا □

وتوج بلير ارادته الطيبة حول المشكلة الايرلندية بلقاء زعيم «الشين فين»، الجناح العسكري للجيش الجمهوري الايرلندي، جيري ادامس يوم الاثنين الأخير. ويعتبر هذا اللقاء الاول بين رئيس بريطاني للوزراء وبين مسؤول عن الجيش الجمهوري الايرلندي رفيع المستوى، منذ العام ١٩٢١ عندما استقبل لويد جورج في مقر رئاسة الوزراء في داونينغ ستريت ١٠ في لندن زعيم الجيش الجمهوري الايرلندي في حينه، مايكل كولن.

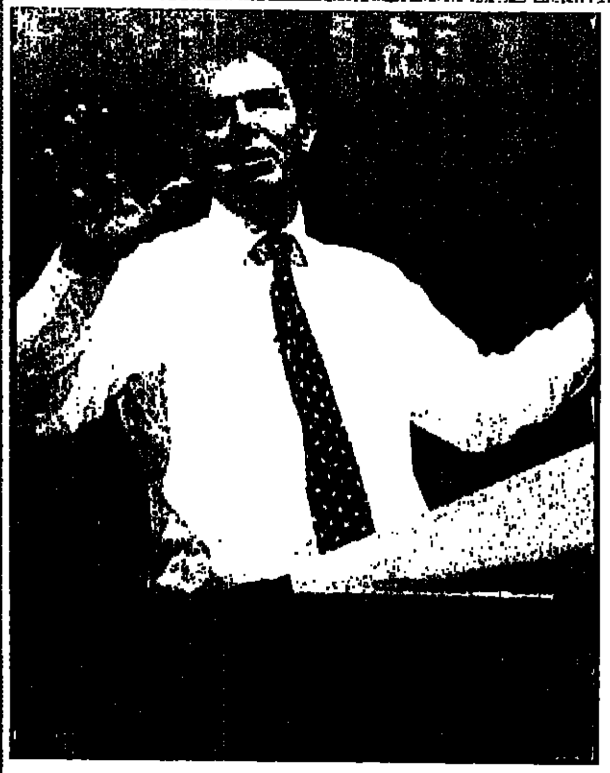
وقد نجح بلير الذي قام في ايار الماضي باول زيارة له الى ايرلندا الشمالية لتقديم شرح مفصل حول الطرح الذي تقترحه حكومته للمجموعتين المتنازعتين في ايرلندا، واتت هذه الزيارة بثمارها، اذ اعلن الجيش الجمهوري الايرلندي في ٢٠ تموز الماضي عن وقف لاطلاق النار والموافقة على المفاوضات حول مستقبل ايرلندا الشمالية.

وبدأت في ٢٣ ايلول الماضي في بلفاست جلسة المفاوضات الموسعة، التي تضم، للمرة الاولى، منذ العام ١٩٢١ الجناح السياسي في الجيش الجمهوري «الشين فين» والوحدويين البروتستانت.

ومن المقرر ان تستمر هذه المفاوضات حتى ايار ١٩٩٨، من اجل تسوية مستقبل ايرلندا، التي تمزقها اضطرابات دامية منذ ٢٨ عاما، والبحث في اتفاق على نزع سلاح الميليشيات.

ويعرف كل فريق، انصار توحيد ايرلندا وانصار ابقاء اولستر في اطار المملكة المتحدة، ان عليه التنازل عن جزء من مطامحه واقامة توازن بين لغة طاولة المفاوضات المحسوبة وبين اللغة الاقل مرونة التي يتوجه بها الى انصاره المعارضين لاجراء هذه المفاوضات بسبب العربية والثقافة اللتين سادتا بين الجمهور العادي على مدى سنين طويلة وغياب الاستعداد الجدي في كل من لندن ودبلن لوضع حد لهذه الدوامة التي يعيشها شعب واحد. ونحن، شعوب الشرق، ادرى بان بريطانيا الامبراطورية ومسؤوليها صناع ومنفذو سياسة «فرق تسد» ولم يتحولوا عن استخدامها وممارستها، ايضا، في ايرلندا للحفاظ على «المملكة المتحدة».

ولكن، في هذه المرة، تقترح لندن ودبلن وضع صيغة استفتاء مستقبلي، اذا فشلت المفاوضات بين الاطراف المتفاوضة، مع التاكيد على انهما لا تنويان تجاوزها، اذ ان المفاوضات تتمحور حول حكم ذاتي محدود لايرلندا الشمالية يتم المصادقة عليه باستفتاء شعبي ينظم في شمال ايرلندا وجنوبها.



* طوني بلير *

لا شك ان بناء مستقبل جديد لايرلندا الشمالية وبدء تسوية الانشقاقات القديمة يعتبر تحدياً للاحزاب البروتستانتية الوحدوية والكاثوليكية القومية وجناحيهما المسلحين، اذ اعترف ديفيد ايرفين ممثل احدى الميليشيات البروتستانتية بان الكثير من المواطنين مثله لم يكونوا ليعتقدوا قط ان مثل هذا اليوم، المفاوضات، سيأتي، فيما اعتبر مسؤول في منظمة «الشين فين»، مارتن ماكغينيس، ان سكان ايرلندا الشمالية عاشوا في حقبة السبعينات في دولة كانت فاشلة تماما للقوميين والوحدويين على حد سواء، وانه لا بد من انطلاقة جديدة، «نحن ايرلنديون جمهوريون ونريد وضع حد لسيادة القانون البريطاني في بلادنا».

ويهدد الوحدويون بالانسحاب من المفاوضات اذا فعلت لندن ودبلن اي اخلال بالتوازن من خلال تقديم تنازلات للجمهوريين في امور يفترض ان تبت فيها المفاوضات، وجاء هذا التهديد اثر اشارة وزير شؤون ايرلندا الشمالية، مو مولام، الى تعديل التشريع الاستثنائي في اولستر بهدف الغاء ارث اللامساواة والظلم اللاحق بالمجموعتين. وهذا مما لا شك فيه انه اعتراف واضح بان هناك غبنا وظلما لحقا بالجمهوريين ويعمل المسؤولون على اصلاحه. ويعارض الجانب التوحيدي هذا التوجه، ويرفض حزبان المشاركة في المفاوضات، ويدعي الاب يان بيسلي في اطار دورة «المحمس» للجمهور المعتاد انه يمثل «الوحدويين الحقيقيين» ودعا مؤيديه ومعارضي المفاوضات الى «اضرام نار المقاومة»، في حين اعرب روبرت مكارثني، من جهته، عن امله في استخدام جميع الوسائل الضرورية لاجهاض المؤامرة الهادفة الى اقامة ايرلندا موحدة!.

## □ ورشة التحديث والعقبات المرتقبة □

اذن نجاح ورشة رئيس وزراء بريطانيا لتحديث بلاده منوط بمدى الانجازات التي تحققها المفاوضات الجارية في بلفاست حول مستقبل ايرلندا. بالاضافة الى مدى موافقة النقابات العمالية البريطانية على طرح بلير، اذ حثها على الانضمام الى العالم الحقيقي الذي تصنعه مرونة في موضوع العمالة وشراكة مع ارباب العمل، هذه النقابات الغنية برصيدها النضالي والكفاحي ضد اي مس بالانجازات التي حققها العمال على مدى عقود تاريخنا المعاصر.

وبالطبع، لا ننسى حزب المحافظين، المتمسك والمصر على بقاء بريطانيا تقليدية معارضة للتحديث وحل المسألة الايرلندية، والرافضة لمعاهدة «ماستريخت» وسريان مفعول العملة الاوروبية الموحدة الـ «يورو». وتعمل قيادة هذا الحزب على افشال برنامج حكومة العماليين على الصعيدين الداخلي والخارجي.

وفي سياق التحريض على سياسة بلير، حرض حزب المحافظين باسم متحدثه ايان تايلور، ضد لقاء رئيس وزراء بريطانيا وزعيم «الشين فين» في الجيش الجمهوري الايرلندي، قائلاً «مصافحة تشكل مبادرة رمزية كبيرة والشين فين والجيش الجمهوري الايرلندي لم يتمتعا حتى الان بالمصداقية التي تبررها».

ان تصريحا من هذا النوع من شأنه ان يدفع بزعماء الاحزاب التوحيدية في ايرلندا الى التعنت والانسحاب من المفاوضات متعددة الاطراف. خاصة وان «حزب اولستر الوحدوي» بزعامة ديفيد تريمبل، يشارك في هذه المفاوضات واضعاً نصب عينيه هدف طرد «الشين فين» منها.

# عرب النقب.. مأساة حقيقية

(تتمة من ص٥)

وتضيف الصانع: نحن كجمعية نسائية لا نستطيع مواجهة هذا الوضع، بالمظاهرة مثلا، بل نعبر عن راينا ونعارض هذه العقلية من خلال رسائل الاعلام فقط خوفا من ان نلاقي رد فعل ومعارضة رجالية قد تؤدي الى اشكالات كبيرة، واضافت الصانع « لا ننسى التيار الاصولي بما يحمله من افكار ومفاهيم جامدة ورجعية تجاه المرأة ودورها ومحاولاته لحجب المرأة وعزلها بفهم خاطئ لمقاصد الشريعة الاسلامية، كذلك هناك القيم والمفاهيم الاجتماعية التي تكرس درنية المرأة وتحرص على التمييز بينها وبين الرجل وتشكك في قدراتها على القيادة والمشاركة».

وكما اكد محدثونا، فان ما تعانيه المرأة هو انعكاس لمجمل مشاكل المجتمع العربي في النقب. فاذا اخذنا مجال التعليم نجد المشاكل صعبة وقاسية، فنسبة الحاصلين على شهادة البجروت لا تصل الى ٦٪ من الطلاب و ٧٥٪ منهم يتسربون من المدارس في جيل مبكر. وفي دراسة اعدها الدكتور اسماعيل ابو سعد تبين ان نسبة خريجي الجامعات والدارسين اليوم فيها لا تتعدى (٢. ٠٪) السكان. والحكومة من جهتها تدرس كيفية التوفير على نفسها في الميزانيات فتبحث عن الارخص، وتشغل طلاب جامعات او خريجي صفوف ثواني عشر كمعلمين بدل المؤهلين. وبذلك يبقى الطالب الضحية، كما ان هناك العديد من المناطق التي لا توجد فيها مدارس فوق الابتدائية ولا توجد سفريات منظمة، مما يحول دون استمرار الطلاب في التعليم وخصوصا البنات، اذ يرفض الاهل ان تغادر البنت البيت الى مناطق بعيدة.

وفي مجال الصحة، يرى د. خليل ابو بدر ان الوضع الصحي يتحسن من اسوأ الى سيء ويقول: الوضع سيء جدا مع ان هناك بعض التحسنات التي ادخلت ولكن لا تزال هناك (٨٠٪) من المناطق السكانية بدون مراكز طبية، وفي المناطق التي فيها مراكز لا نجد اطباء مختصين ليس لعدم توفرهم انما بسبب سياسة الحكومة التي تسعى من خلالها الى توفير الميزانيات فتحضر اطباء روسا غير مختصين وتدفع لهم اقل بدون ان تاخذ بعين الاعتبار مصلحة المواطن. ويشير د. ابو بدر الى قلة مراكز رعاية الام والطفل التي تحول دون تقديم التطعيمات للاطفال والعلاج المناسب للحوامل. ويقول: «٥٪ من النساء الحوامل فقط يجرين الفحوصات اللازمة اثناء الحمل، وبسبب كثرة زواج الاقارب نجد نسبة عالية من الاطفال يولدون بمشاكل صحية وتخلف تؤدي احيانا كثيرة الى الوفاة، ولذا فنسبة وفيات الاطفال عندنا من اعلى النسب في العالم».

وحسب الدراسات فان نسبة الوفيات بين اطفال عرب النقب تصل الى (٢٢) حالة لكل الف طفل، وتساوي (٣) اضعاف النسبة عند الاطفال اليهود، وترتفع النسبة اكثر بين اطفال في جيل ١-٤ سنتات لتصل الى خمسة اضعاف ما عند اليهود ل ٢٥ مقابل ٥.

ويبقى السؤال ما العمل؟

د. خليل ابو بدر يرى ان هناك حاجة ماسة للاهتمام اكثر بعرب النقب من قبل الجمعيات والمؤسسات واعضاء الكنيست ويقول: «نحن منسيون بالنسبة لاعضاء الكنيست، وحتى من ابن بلدنا الذي لا يعرفنا. ومن بين جميع المؤسسات والجمعيات في الجليل والشمال لم تصلنا الا جمعية الجليل للخدمات والبحوث الطبية والتي لاقت هي الاخرى عن معارضة من قبل وزارة الصحة التي رفضت ان يرافق ممرضة الجمعية طبيب مختص.

العامل الاجتماعي خيري الباز يقول «ان هناك ضرورة لاجراء دراسة وبحث شاملين للوضع بتعاون اوسع عدد من المختصين من مختلف المناطق في البلاد، ولوضع خطة مدروسة تنفذ خلال فترة زمنية محدودة والا .. فسيصعب علينا استدراك الامر، مما يجعل المستقبل في خطر لا نعرف عواقبه».

# فريدة النقاش للاتحاد:

(تتمة من ص ١٨)

اوساط النساء من جهة ومن جهة اخرى، الى اقبال على العمالة النسائية الرخيصة جدا في مجالات الصناعات الصغيرة والورشات والنسيج. ففي سياق تصفية القطاع العام والخصخصة، جرى الاستغناء عن الكثير من النساء في القطاع الرسمي، فالنساء العاملات، يعملن اليوم بظروف قاسية حيث يتقاضين اقل بكثير من الحد الادنى، وبحاجة ماسة لمن يقف الى جانبهن.

*** «الاتحاد»-الجمعيات اعضاء الملتقى جميعها جمعيات نسائية؟**

- النقاش: لا. فهناك مثلا اتحاد الفلاحين المصريين، فبدون شك، تحسين وضع المرأة ودعمها ورفع مكانتها بحاجة الى دعم ومساندة الآخرين، وتطوير اية فئة مهمشة في المجتمع يصب ايضا في تطوير وضع المرأة.

*** «الاتحاد»-كيف تنعكس اهمية الملتقى؟**

- النقاش: برفع كفاءة وقدرة كافة الجمعيات العاملة وبوضع حل لتكرار الانشطة، وهناك نشاطات مختلفة بين النساء.

*** «الاتحاد»- اي نوع من النشاطات تقدمونها للنساء؟**

- النقاش: تتركز نشاطاتنا في ثلاثة مجالات: الاعلام، حيث نصدر نشرة باسم «انهار» واخترنا هذا اسم لان الجمعيات جاءت من منابع سياسية وخيرية وثقافية مختلفة ونحن اليوم بصدد اصدار فيلمين لنصل الى اكبر عدد ممكن من النساء. والفيلمان يعكسان طبيعة عمل الملتقى وما تعانيه النساء في مجال الزراعة. وهناك مجال التدريب، اذ ننظم كل شهر لتدريب النساء على التفاوض الجماعي ومهارات الاتصال وغيرها من المجالات والتوثيق، اذ نطمح الى بناء قاعدة لانشاء بيانات ومواد حول وضع المرأة في مصر موثوق بها ليس للوقت الحالي فحسب انما وللاجيال القادمة.

*** «الاتحاد»-هل تحاولون نقل هذه التجربة لمنظمات في دول اخرى؟**

- النقاش: حاليا ما زلنا محدودين ونحاول الوصول الى جميع الاقاليم المصرية بفتح فروع لنا فيها ثم ننتقل الى الدول العربية.

(أمال شحادة)

# هل فُهِمَت «الرسالة»؟!

(تتمة من ص ١٠)

اسرائيل، بان حزب الله يقاتل الاحتلال الاسرائيلي فقط، للاراضي اللبنانية.. الا تعني هذه الرسالة شيئاً لحكام اسرائيل؟

ربما كان حكام اسرائيل يعرفون هذا قبلاً. ولذلك يربطون انسحابهم من الجنوب اللبناني بموجب الاتفاق مع سوريا اولاً وهم يعرفون بالتأكيد، ان سوريا تطلب بانسحابهم من هضبة الجولان الى حدود حزيران ٦٧، ولأنهم لا يريدون الانسحاب من الهضبة، يشغلون حكاية الاتفاق مع سوريا أولاً لانسحابهم من الجنوب اللبناني وفي الوقت نفسه، ذريعة لعدم الانسحاب لا من الجنوب اللبناني ولا من هضبة الجولان.

الكلام الكثير، الذي نسب الى رئيس الدولة في اثناء زيارته للولايات المتحدة، سواء أكان قاله أم لم يقله، لا نراه ينسجم مع سياسة وممارسة حكومة نتنياهو، التي «تنعف» الأموال لترسيخ المستوطنات الكولونيالية بما فيها المستوطنات في هضبة الجولان المحتل.

ونحن لا نرى كذلك صدقاً وامانة واخلاصاً في ادعاء الحكومة الحرص على أرواح جنودها. وهي تعرف ان استمرار احتلالها للجنوب اللبناني يكلف الشعب الاسرائيلي ثمناً باهظاً، يُدفع في كل يوم من أرواح ابنائه.

انسحاب الجيش الاحتلالي من الجنوب اللبناني الى الحدود الدولية من جانب واحد قد يعكس رغبة اسرائيلية في السلام مع لبنان، ولكنه يبقى سلاماً منقوصاً، ما لم يكتمل بانسحاب من الهضبة السورية والاراضي الفلسطينية التي احتلت في حزيران ٦٧.

لكن هناك الف برهان على ان هذه الحكومة لن تفعل ذلك طوعاً.

# ستمتلئ البلد بشخصيات هجينة (٣)

(تتمة من ص ٢٢)

نسائية متبلورة. لكن بمعرفتي للواقع النسائي من الحارات والشخصيات الشعبية اكتشفت الى اي مدى نحن بحاجة الى مراكز او مؤسسات نسائية باستطاعتها ان تبلور الوعي النسوي او تدرس الواقع النسوي.

## رفيف ليست انا

س: لضيق وقتك ساتنازل عن اسئلة اخرى، الا ان سؤالا ما زال يلح علي، وهو: كثير من القراء يحدثوا عن سحر خليفة في كتبها وغالبا ما توقعوا، او اجمعوا، ان رفيف هي سحر خليفة. لا اعرف مدى صحة هذا الامر، خاصة ان كل كاتب يسقط من عندياته على شخصياته. لكنني بعد ان سمعتك في باريس تتحدثين عن حياتك الشخصية والمسيرة الطويلة والصعبة التي قطعتها لتحقيق ذاتك ايقنت ان سحر خليفة تختلف عن كل شخصياتها. وعندما شرعت اقرا كتابك الاخير توقعت ان اقرا عملا روائيا عن حياتك كما فعل رشيد بو جدرة في روايته الرائعة «الطلاق»، الا انك حتى اليوم لم تكتبي لنا هذا العمل. هل ستكتب لنا سحر خليفة ذات يوم مسيرتها روائيا؟

ج: اشكرك على السؤال الذي اعتقد انه هام لانه يعطيني مجالا لتفسير نفسي ومن اكون، حيث ان القراء لا يعرفون حياتي الداخلية بابعادها المتشابكة المعقدة، ويخلطون بين حياتي الخاصة وبنات خيالي وافكاري. وصحيح ان الابداع لا بد ان يعبر في مجمله عن الانا الذي يحتويه، وارجوك ان تشدد على عبارة «في مجمله» وتضع تحتها خطين، لان ما يعبر عن شخصية الكاتب وافكاره واحاسيسه ومعتقداته هو المجمل وليس التفصيل. وفي الادب لا نقف عند شخصية او مشهد او فكرة ونقول«هذا هو الكاتب»، بل نتوقف في نهاية العمل ونستخلص نقول: هذه هي رسالة الكاتب، هذه اجواؤه، هذه هي محاور افكاره او كوابيسه، هذه احاسيسه، هذه جمالياته. اما ان تقول عن شخصية ما في عمل ما او فكرة ما في مشهد ما هذا هو الكاتب او هذه فكرته، فهذا خطأ فني كبير يقع فيه القارىء العادي، اما الناقد المتخصص، او الكاتب المجرب، فيعرف اصول اللعبة ولا يخلط.

صحيح، ان هناك كتابا كثيروا، وما زالوا يكتبون عن تجاربهم الشخصية بشكل ادبي ويدمجون او يستقون من الخاص ما هو عام، الا ان هؤلاء، حتى هؤلاء، لا يمكن ان نحاسبهم ونقيسهم حسب مقاييس البيوغرافيا. حتى البيوغرافيا، ان اردت التعمق في السؤال، لا تعبر كليا عن حياة الكاتب لانها تعجز عن الالمام بتفاصيله، كما انها - وهذا الاهم- مكتوبة بانتقائية وتصرف، فما يدرينا ما الذي افصح عنه الكاتب وما الذي لم يفصح عنه؟ واي جانب قبيح في حياته او نفسه صرح به او اخفاه ولم يصرح.

عودة الى رفيف، أأنا رفيف؟ انني لو كنت، فمتاعب رفيف محدودة وآلامها معدودة، ولم تحمل الاعباء والالام التي حملتها منذ كنت في الثامنة عشرة حين تزوجت وطلقت وربيت طفلتين بعرق جبيني وتابعت دراساتي وعملت وشقيت وذقت طعم القلة والخوف من البطالة والخوف من نظرة المجتمع لامرأة صغيرة مطلقة، والخوف من نظرات الرجال لامرأة مثلي يعتبرونها صيدا سهلا وطريقا سالكة. لقد عشت حياة صعبة مريرة على المستوى الشخصي، وعشت تناقضات فكرية مؤلمة وقع فيها أبناء جيلي، وواكبت الاحتلال باكمله، والانتفاضة باكملها، والهبوط النفسي والهزيمة المطبقة بعد اوسلو. حياتي لم تكن مرفهة كما كانت حياة رفيف، واعبائي كانت اضعاف اضعاف ما حملته رفيف، فكيف اقاس برفيف؟ لا يمكن. قد تنطق رفيف ببعض افكاري او احملها بعض مخاوفي، لكنها ليست انا، بالتأكيد ليس انا.

اما ان اكتب عن حياتي كما فعل رشيد بو جدرة، فقد افعل ذلك يوما، لكنه سيكون عملا صعبا للغاية ويحتاجة لتركيز كبير ونفسية قادرة على نبش الماضي باضطراباته واحزانه والامه، انا اخاف من ماضي لانه ما كان سهلا، بل كان مؤلما جدا، واكره كثيرا الرجوع لذكراه لانه يسبب لي توترا وانا لا اعلم ان كنت قادرة على احتماله.

الكتابة بحاجة للهدوء والتركيز، وهذا الموضوع يفقدني تركيزي ويجعلني مضطربة ومحبطة، واخاف ان تفلت مني ادواتي الفنية في تلك الحالة واتبع عملا محبطا كابوسيا قبيحا.



# ليس للوجه الكشر!

* بقلم: د. ادوار الياس *

## غمزات!

* قررت الاكاديمية الملكية في العاصمة السويدية ستوكهولم منح رئيس الحكومة الاسرائيلية بنيامين نتنياهو جائزة نوبل لـ«الارهاب»!
* كلمة الحق بخف الريشة، ومع هذا تهدر كالرعد.
* من يولد على تقاطع الطرق يصعب عليه اختيار المسلك.
* حيث تنتصر الغرائز على العقل يصبح الطبّال قائدا للفرقة الموسيقية.
* اذا اجبرت جميع مرتكبي الحماقات على الوقوف في الصف، لاصبح ذاك الصف من اطول الصفوف.
* الطبيعة خلقت الانسان ليفكر وينطق ويضحك.. على طبيعته.
* من لا يفكر لا يضحك.

## من اقوال الشعوب!

*** يقول السلوفاك:**
**- من يطلب الشر لجاره يصب به**
*** وتقول العرب:**
**- من حفر حفرة لاخيه وقع فيها.**
*** يقول الاسبان:**
**- لا تهزه العواصف.**
*** وتقول العرب:**
**- يا جبل ما يهزك ريح.**
*** يقول الالمان:**
**- ينقل الحطب الى الغابة.**
*** وتقول العرب:**
**-يبيع الماء في حارة السقايين.**
*** يقول الطليان:**
**- هذا الحذاء مناسب لهذا الرصيف**
*** وتقول العرب:**
**- هيك بلد بدها هيك مختار.**
*** يقول البرتغاليون:**
**- كل شخص ملك في بيته.**
*** وتقول العرب:**
**- كل ديك على مزبلته صيّاح.**

## جاحظيات!

* في الحلقة السابقة من الجاحظيات تطرقنا الى التزام «ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ» بالواقعية في الادب وأوردنا قوله: «هذه ملتقطات من احاديث اصحابنا واحاديثنا وما رأينا بعيوننا».

ومستعينا بالنهج الواقعي عكس الجاحظ، باسلوبه الساخر، جميع جوانب الحياة في عصره، وعلى رأسها الجانب الاقتصادي الذي اعتبره اساس العلاقات الاجتماعية.

ويظهر هذا جليا في مؤلفه عن «البخلاء» الذي حلاه بالعديد من النوادر عن معارفه من اصحاب مذهب «الجمع والمنع».

وفي مجال «الجمع والمنع» كتب ابو عثمان:

- «وكان ابو عبس بخيلا. وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه، ثم يقول: كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها! الان استقر بك القرار واطمأنت بك الدار. ثم يرمي به في صندوقه فيكون اخر العهد به».

وفي موقع اخر كتب ابو عثمان:

- «واجتمع ناس من المسجد، ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة، والتثمير للمال، من اصحاب الجمع والمنع.

وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحابّ، وكالحلف الذي يجمع على التناصر. وكانوا اذا التقوا في حلقة تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه، التماسا للفائدة، واستمتاعا بذكره».

وفي موقع ثالث كتب ابو عثمان:

- اندفع شيخ من اصحاب «الجمع والمنع» وقال:

«يا قوم! لا تحقروا صغار الامور، فان اول كل كبير صغير، ومتى شاء الله ان يعظم صغيرا عظمه، وان يكثر قليلا كثره، وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم؟ وهل الدرهم الا قيراط الى جانب قيراط؟ وهل اجتمعت اموال بيوت المال الا بدرهم من هنا ودرهم من هناك؟ قد رايت صاحب سقط قد اعتقد مئة جريب في ارض العرب. فرايته يبيع الفلفل بقيراط والحمص بقيراط، فعلمت انه لم يربح في ذلك الفلفل الا الحبة والحبتين من حباب الفلفل. فلم يزل يجمع من الصغار الكبار، حتى اجتمع ما اشترى به مئة جريب».

## مع المشاهير!

* لولا «عنصريتهم» المفرطة، لما اقدم المثقفون العرب، في الهزيع الاول من القرن العشرين، على تعيين اعجمي اميرا لشعرائهم، الذي مرّت ذكرى رحيله الـ (٦٥) قبل ثلاثة ايام وعلى وجه التحديد والدقة في الساعة الثانية من فجر يوم ١٤/١٠.

## ومن هو الامير الاعجمي هذا؟

- انه شاعر الشعراء العرب احمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢) الذي ولد في القاهرة لاسرة اممية المزاوجة العائلية، جمعت بين والد كردي وام تركية، وام ام يونانية، وام والد شركسية، اي انه، وبقصير العبارة، لم يكن به مغز ابرة لنقطة دم عربية!

ومع هذا، فان احمد شوقي اثرى الادب العربي المعاصر بابداعاته الادبية، من ديوان «الشوقيات» حتى «علي بك الكبير» مرورا بـ «مصرع كليوبترا» و«مجنون ليلى» و«عنترة» و «قمبيز» وغيرها.. وغيرها من المطولات الشعرية الرائعة التي اطارت صيته في جميع جنبات العالم العربي، حيث اخذ الناس بالترنم بشعره في جميع افراحهم واتراحهم واماكن تواجدهم.

وعن تتويج شوقي اميرا للشعراء العرب كتب فوزي خليل عطوي في مؤلفه «احمد شوقي- امير الشعراء» الصادر في بيروت في اذار العام ١٩٦٩، بعد مرور سنة على احتفال اليونيسكو بذكرى مرور (١٠٠) عام على ولادة شوقي:

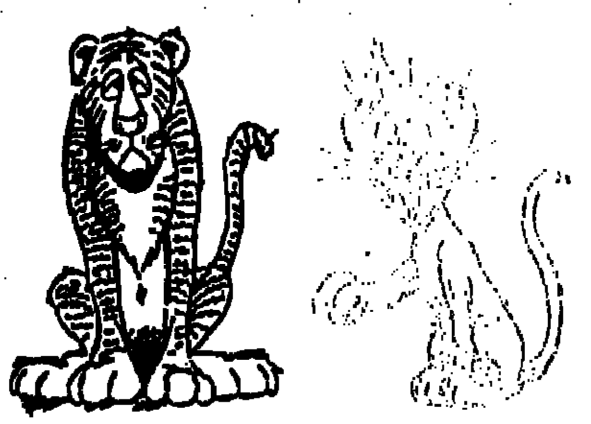
## امارة الشعر!

* اختير شوقي، في العام ١٩٢٧، عضوا في مجلس الشيوخ المصري. واعاد في ذلك العام بالذات طبع ديوانه «الشوقيات». فانتهز محبوه واصدقاؤه المناسبتين معا لاقامة حفلة تكريمية، انقلبت الى مهرجان قومي عربي عظيم، اعلن فيه تتويج احمد شوقي اميرا للشعر.

وقد اشتركت في الاحتفال وفود كثيرة عن الدول العربية. فتحدث شاعر الارز شبلي الملاط باسم لبنان، ومحمد كرد علي، باسم المجمع العلمي العربي في دمشق. وامين الحسيني باسم فلسطين. وفنديرج المستشرق البلجيكي. والامير شكيب ارسلان. وحافظ ابراهيم الذي اعلن، باسم شعراء مصر، صراحة، مبايعة الشعراء المصريين والعرب لاحمد شوقي بامارة الشعر، علما بان ثمة من كان يميل الى تفضيل احد اثنين: حافظ ابراهيم او خليل مطران، على احمد شوقي.. ولكن نبل كل من حافظ ومطران، حمل الى احمد شوقي لقب «امير الشعراء» باجماع شعراء وادباء العربية المحتفلين بتكريمه.

واعلن حافظ ابراهيم عن تتويج احمد شوقي اميرا للشعراء من خلال قصيدة عصماء جاء في مطلعها:

- «بلابل وادي النيل بالمشرق اسجعي/ بشعر امير الدولتين ورجعي/ اعيدي على الاسماع ما غردت به/ براعة شوقي في ابتداء ومقطع/ براها له الباري فلم ينب سنها/ اذا ما نبا العسال في كف اروع/ مواقعها في الشرق والشرق مجدب/ مواقع صوب الغيث في كل بلقع/ لديها وفود اللفظ تنساق خلفها/ وفود المعاني خشعا عند خشع»



## ديراويات!

* على الرغم من انها لم تغطغط عشية، ولم تغطغط على باكر، قرر مسعد اسعد الديراوي ان يسافر، سرا، بدون ان يودع احدا، او يودعه احد من المعارف والجيران.

فاحكم اغلاق بوابة حاكورة تصفيحته الكرملية. وحمل عصاته وسار مترنما: احنا نوينا ع السفر، وبخاطرك يا بلادنا»!

وفي طلعة النزلة، ولانه لم يصبح عليها، صاحت عليه جارته«كترومة الشرثارة» التي كانت تنشر غسيلها الوسخ على حبل بلكونها المطل على «نادي البصباصين المتحدين» بزعامة «ابو عين نزازة»:

- لوين يا جار..؟! ما في صباح الخير يا حلوين...؟!

فرفع الديراوي نظرة غير حزينة وغير سعيدة. وبعد ان قال في عبه: منظر يقصر النظر ويوجع القلب، اجاب بلهجة جافة محايدة:

- اشتاقت الديار لاهلها.

فتحت «كترومة الشرثارة» فمها، علامة على الاندهاش، وقالت باستغراب:

- اي في حدا بيسافر، يا جار، هيك.. طمة غمة وبدون استئذان .. تاركا داره وديرته؟!

فهز الديراوي راسه، في جميع الاتجاهات والابعاد الاربعة، ومع دخوله البعد الخامس قال بصوت غير مسموع:

- هنا داري.. وهناك داري..

ولانها خمنت، تخمينا صائبا، بانه سيواصل المسير، صاحت «الشرثارة» نادهة:

- وصيتك يا جاري!

فكبس الديراوي على زر عصاته الالكترونية، وبعد ان فرك جبينه صفن، وبعد ان صفن وفكر نصح:

- لا تستمعي الى اذاعة «صوت إسرائيل من اورشليم - القدس»

- ليش..؟

- احسن ما يطلع لك، اسم الله وذكر الله، المذيع عبد الكريش الشفاعمري، الذي يعتقد انه «فلتة زمانو» و«ابن شوشان» اللغة اليهودية، ويسمم بذلك بمختاراته الصحفية غير الموضوعية.

- وعلى اية اذاعة نفتح؟

- الاذاعات على قفا من يشيل!

وعند قفا من يشيل هذه، كبس الديراوي، ثانية، على زر عصاته الالكترونية فتحركت. وواصل نزوله الى ان وصل اول طلعة النزلة. فشاهد جمهرة وشرطة وهيصة. فغرمل كعبي كندرته وسأل عن العلة والمعلول.

فجاء الجواب على لسان الصبي «هباش - هماش» الطايح على الصحافة طياحة:

- يقولون ان شابين عربيين من محافظة جنين نجحا عبر خط التماس الفاصل بين فلسطين وإسرائيل، لسرقة سيارة، وبعد ان اصبحت اللقمة في الفم، لحق بهما «صاحبا» السيارة اليهوديان و «يا حرة مع مين علقتي»!

وعلى الفور وصلت قوة شرطة من المرزات اوسلو، زاعقة، واعتقلت الشابين الاربعنة. وبعد تحقيق سريع اتضح ان اليهوديين من خريجي الحبوس وسهلهما - حابل بسرقة السيارات والمضافات!

فابتسم الديراوي، وواصل سيره بحثا المحطة التي لا تزر باصاتها عبر سهل شفاعمرو، تحاشيا لرؤية سحنة المذيع عبد الكريش «الاصفي» الذي يعتقد انه «فلتة زمانو».

## الكاتبة المصرية فريدة النقاش، رئيسة «ملتقى الهيئات لتنمية المرأة»، لـ «الاتحاد»:

*** الملتقى يضم (٢٤) جمعية ومنظمة سياسية ونقابية واجتماعية في مصر تعمل بشكل موحد. وهذه تجربة فريدة من نوعها في العالم العربي* حديث عن ظروف عمل الملتقى ونشاطاته واوضاع المرأة المصرية في ظل الاصولية الرجعية ***



* في خطوة فريدة من نوعها وهي الاولى في العالم العربي، تعمل ٢٤ جمعية ومنظمة سياسية ونقابية واجتماعية في مصر معنية بشؤون المرأة وغيرها في اطار واحد وموحد وهو «ملتقى الهيئات لتنمية المرأة». وتقول رئيسة الملتقى الكاتبة فريدة النقاش: «ان خطوتنا هذه هي ظاهرة بعكس الريح، فاليوم هناك تفتيت للطاقات التي توزع الى جمعيات ومنظمات مختلفة تعمل كل على انفراد سواء في مجال المرأة او حقوق الانسان، مع ان الحاجة ماسة اليوم لتجميع كافة الطاقات الموجودة عندنا وتوحيدها، لتصبح قاعدة حقيقية للاجيال القادمة، لتعمل مستندة الى معلومات وحقائق تشمل كافة المجالات».

* «الاتحاد» - كيف لمعت فكرة الملتقى؟

– النقاش: في خضم استعداد الحركات النسائية في مصر لمؤتمر بكين، التقت الجماعات النشيطة مع بعضها ثم التقت مع اعضاء مركز الدراسات العربية الكندية الموجود في مونتريال والذي يسعى الى الاسهام في تطوير الحركة الشعبية في البلاد العربية وتعريف المجتمع الكندي على القضايا العربية. وبما ان الجمعيات المصرية ال (٢٤) هي فقيرة وتعمل بالجهود الذاتية، اتفقنا مع المركز على دعمنا لاقامة هذا الملتقى فتشجع وبدأنا بتأسيس انفسنا.

* «الاتحاد» الاعلان الرسمي عن الملتقى، جاء بعد سنتين من المبادرة، هل واجهتكم مشاكل؟

– النقاش: انها مدة زمنية طويلة الى حد ما والسبب في ذلك اننا كنا حساسين جدا لقضية التمويل، وكنا نريد ان نعرف بالضبط مصادر الاموال وما هي شروطها وطبيعة تحول المبالغ لاننا اردنا ان نكون مستقلين.

* «الاتحاد» اية وضعية نسائية دفعتكم الى هذه الخطوة؟

– النقاش: الجمعيات تعاني بشكل مكثف، من خطرين، الاول الاصولية التي ترى بالمرأة عورة وتدعو الى عودتها الى البيت وتبعث الى الحياة بكل الثقافة القديمة المعارضة للمرأة، والتي كنا قد اجتزناها من زمن بعيد، وهذه الاصولية تكاد تكون احدى القوى المسيطرة على الساحة الثقافية خاصة بقضية المرأة، لمعتقداتها بان المرأة هي سبب انهيار الاسرة والبطالة لانها حصلت على فرص عمل الرجل، تمثل فتنة. كذلك فان الاصوليين يسيطرون بين مجموعات واسعة من النساء، ويقيمون للنساء جمعيات كثيرة، والمرأة دون ان تعي ما تفعل تعمل ضد نفسها والى جانب هذا فهناك خطر مجموعة السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي انبعثت في مصر وكان عنوانها الخصخصة وما يسمى بالانفتاح الاقتصادي، وسياسات التكيف الهيكلي التي تفرض شروط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، ادت الى بطالة واسعة في

(البقية على ص ١٦)

## (٢٣٥) الف [illegible] اجهاض ارادي في فرنسا

● اوضح تقرير للصحة العامة في فرنسا ان حالات الاجهاض الارادي تصل الى (٢٣٥) ألف حالة سنويا، وبذلك تحتل فرنسا مركزا متقدما بين البلدان الاوروبية التي يحدث فيها الاجهاض.

واوضح التقرير ان عدد النساء اللواتي يجرين عمليات اجهاضية يشمل نساء تقل أعمارهن عن (٢٥) سنة. من بينهن ٥٠٪ من القاصرات وثلث العدد من النساء اللواتي تزيد اعمارهن عن ٣٥ عاما، و ٥٠٪ من بين اللواتي قررن الاجهاض كان ذلك للمرة الاولى بالنسبة لهن، ومن بين المتزوجات (٥٤٪) لدى كل واحدة طفلان و٢٤٪ لديهن (٣) أطفال.



● اعتبر المصورون، عارضة الازياء السودانية الجميلة، أليك ويك، أحدث اكتشاف ببشرتها السوداء اللامعة، وجسمها الرشيق المتناسق وابتسامتها الساحرة ولذلك لم يكن غريباً ان تحصل على جائزة أفضل عارضة أزياء في هذا الموسم.

اليك تبلغ من العمر (١٩) عاما وهي لا تشبه اية عارضة ازياء اخرى، وتتميز بشخصية فريدة يقوم المصممون بدراستها وتخصيص موديلات خاصة لها.

تنحدر اليك من قبيلة «الدينكا» التي تعد واحدةً من أكبر قبائل السودان، ولكن بعد اندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٩١ فرت من السودان وسافرت مع والديها وثلاثة من أشقائها وشقيقاتها الثماني الى لندن حيث تعلمت الانجليزية، وبدأت تعتاد الحياة الاوروبية.



وفي شهر آذار الماضي وخلال احدى الحفلات الخيرية لمحتها واحدة من العاملات في وكالات عارضات الأزياء، وانبهرت بمشيتها وقوامها وابتسامتها الساحرة فطلبت منها ان توافق على اجراء بعض الاختبارات لتحديد ما اذا كانت تصلح للعمل كعارضة ازياء.. ووافقت اليك على هذا العرض ونجحت بامتياز في الاختبارات فهجرت دراستها وسافرت لتجرب حظها في نيويورك. وهناك اكتشفها المصور ستيفن ميسيل وعهد اليها بتقديم الحملة الدعائية لمستحضرات التجميل الخاصة بفرانسوا نارس رائد الماكياج في الولايات المتحدة. ولاقت الحملة نجاحا كبيراً، وبدأت تخطو خطواتها الأولى في عالم عروض الأزياء والاعلان.

وبالرغم من نجاحها وتهافت وكالات الاعلان والدعاية عليها فان اليك لم تفقد تواضعها ولم تصب بالغرور.



## عروض [illegible] لـ "غسل وجك يا قمر"



● الممثلان غسان عباس ومحمود قدح اثناء المراجعات ●

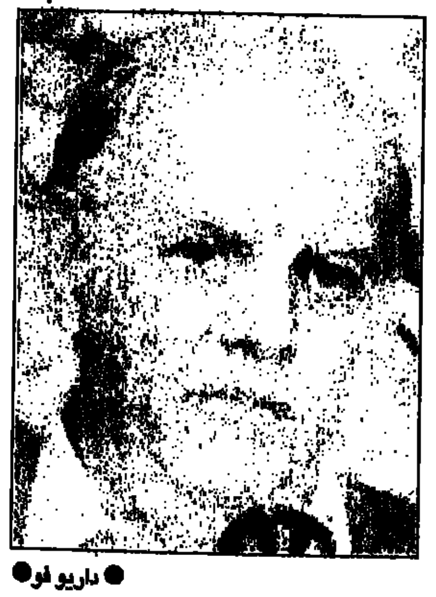
## [illegible]

* الناصرة : لمراسلنا – نظرا لاهتمام الجمهور في معرض الفنان ناجي العلي قرر المركز الثقافي البلدي في الناصرة ان يمدد فترة فتح المعرض حتى ٢٠/١٠/٩٧.

لقد شاهد المعرض حتى الان اكثر من (٢٠٠٠) مشاهد من الناصرة وخارجها، وبرز اهتمام معلمي الفنون في مدارس الناصرة اذ قاموا بتنظيم زيارات لطلاب مدارسهم والقيام بالشرح عن ناجي العلي، واعطاء التلاميذ اوراق عمل، ثم العمل عليها في جاليري المركز.

والجدير بالذكر ان معرض الفنان ناجي العلي نظم من قبل المركز الثقافي البلدي بالتعاون مع مؤسسة توفيق زياد للثقافة الوطنية والابداع وبالتنسيق مع نجل الفنان الراحل الاخ خالد العلي.

هذا ويصل مؤسسة توفيق زياد والمركز الثقافي الكثير من الطلبات من القرى والمدن العربية لنقل المعرض ولاتاحة الفرصة لجماهيرنا للاطلاع على ابداع الفنان الكبير ناجي العلي.



● داريو فو ●

● حيفا – لمراسلنا الفني – يستمر «المسرح العربي في اسرائيل» بتقديم عروض مسرحياته الاخيرة امام الجمهور المحلي حيث يقدم «اكسدنت موت الفوضوي» للكاتب الايطالي الحائز على جائزة نوبل هذا العام – داريو فو.. وكذلك مسرحية «غسل وجهك يا قمر» للكاتب المحلي انطون شماس ومن اخراج دانئيل جلرون.

لمن العروض القريبة

يقدم طاقم مسرحية «غسل وجك يا قمر» في ٢٦و٢٧/١٠/٩٧ الساعة الثامنة والنصف مساء عرضين للجمهور الواسع وذلك على مسرح «حمام الباشا» في وادي الصليب في حيفا. اما العرض الثاني يوم الاثنين ١٠/٢٧ ليكون مع ترجمة فورية للغة العبرية وبحضور رئيس بلدية حيفا، السيد عمرام متسناع. وفي صبيحة اليوم نفسه ستقوم الفرقة بتقديم عرض خاص لطلاب مدرسة «المتنبي» في حيفا.

اما «اكسدنت موت الفوضوي» – رائعة داريو فو الايطالي الحائز على جائزة نوبل للاداب هذا العام ستقدم يوم الاربعاء ٢٢/١٠/٩٧ لطلاب مدرستي «الكرمل» و«الكرمليت» في حيفا ويوم الخميس ٢٣/١٠/٩٧ يقدم عرض خاص لطلاب مدرسة «راهبات الناصرة» الحيفاوية.

هذا في الوقت الذي يستمر فيه طاقم مسرحية «عارض الكراكوز» بالعمل على انجاز المسرحية الجديدة للاديبة الفرنسية من اصل عربي اندريه شديد بقيادة المخرج فؤاد عوض لتقدم للجمهور ابتداء من منتصف الشهر القادم.

## واخيرا "هيصة" في الناصرة"

* الاتحاد – لمراسلنا في الناصرة – بعد جولة عروض ناجحة موزعة في ارجاء البلاد ومشاركات في مهرجانات مسرحية في الضفة الغربية تصل اسرة هيصة الى الناصرة للمشاركة في عرضين ضمن ليالي الناصرة الموسيقية في ١٧ و ٣٠ من الشهر الجاري، ومسرحية «هيصة» تأليف واخراج راضي شحادة – من انتاج ومشاركة جوقة «البعث» الشفاعمرية بقيادة رجيب حداد مع مجموعة ممثلين معروفين وهي عمل كوميدي غنائي تمثيلي راقص محلي، مدته ساعتان وربع ويثير موضوع «الذوق» بشكل مرح ومثير للتفكير والتساؤل.

# الشاعر في قمة انسانيته - شعر محمود درويش ما بعد الحداثة

بقلم: د.نعيم عرايدي





## الجزء الاول

● جاء على غلاف- مجموعة «لماذا تركت الحصان وحيداً» بقلم صبحي حديدي ما يلي:

«في هذه المجموعة، الجديدة على المشهد الشعري العربي بأسره، يذهب محمود درويش نحو السيرة: سيرة المكان حين تحتويه الجغرافيا لكي ينبسط فيه التاريخ، وسيرة مواقع المكان حين تنقلب الى محطات للجسد وعلامات للروح وتصنع- بالتالي- صيغة ملحمية فريدة لسيرة ذاتية كثيفة تتحرك في فضاء لا كأي فضاء، وتمسح الزمان بين ارتفاع حين الطير، ثم تخصص عناصرها في رحلة ارتداد نحو قطب صانع ومشارك وضامن هو آدمي تراجيدي، ولكنه... رحلة ارتداد نحو قطب صانع ومشارك وضامن هو آدمي تراجيدي، ولكنه... شاعر في بدء هيمة، وللمرء ان يستذكر هنا تحديدا ما كتبه ادوارد سعيد عن محمود درويش والشعر عند درويش لا يقتصر على تأمين اداة للوصول الى رؤية غير عادية، او الى كون قصي من نظام متعارف عليه، بل هو تلاحم عسير للشعر وللذاكرة الجمعية، ولضغط كل منهما على الاخر.

انني اقتبس هذا التعليق في بداية دراستي هذه ليكون مدخلا يساعدني انا شخصيا، ويساعد القارئ، على تحديد بعض الاطر التي من خلالها سنحاول كشف بعض الحجب عن هذه العوالم المتلاحمة في شعر محمود درويش. فلعل ما وصل اليه هذا الشعر من وارتقاء اطواره وفق دينامية جدلية متصاعدة وتصعيدية تذهب من مشقة صناعة وتجديد الادوات التعبيرية، لكي تصل الى مسعريات خلاقة وعميقة...».

فلقد أصبح من الصعب جدا دراسة هذا الشعر ضمن الاطر التقليدية المعروفة وليس من الممكن استعمال الادوات العادية وفق منهج تحليلي واحد او موحد للوصول الى امكانية تحليل هذه القصائد، الى عوامل، بغية شرحها وتفسيرها وفهمها ومن ثم اعادة بناء هذه العوامل الى معادلة القصيدة مثلما اراد لها الشاعر ومثل ما هي في الواقع.

شعر محمود درويش الجديد هو شعر ما بعد الحداثة (بوست مودرنيزم) لانه يتعدى معنى الشعر العصري وابعاده، ويتخطاه الى حدود جديدة لا نهائية هي بمثابة مشروع تعبيري تتواجد فيه حدود الشعر العصري وتنفذ من خلاله الى ابعاد تحتوي على ذاكرة الشعر الكلاسيكي بتلاحم لا مثيل له من حيث الرؤيا والايقاعات. فلو سلمنا بان بدر شاكر السياب هو واضع اسس الشعر العربي المعاصر وادونيس مؤسس الشعر الحر فان محمود درويش هو صاحب رؤيا الشعر العربي ما بعد الحداثة.

ولكي لا تبقى هذه الطروحات تصريحات تنظيرية وتقديرية فيها نحن نضعها على طاولة التحليل والتمثيل، ولذلك نعود اولا الى الطروحات المقتبسة سابقا لنشرحها بسياقها الخاص من حيث التوجه.

ان الظن بان محمود درويش يذهب نحو السيرة هو ذاكرة من مجموعاته السابقة ولا ينطبق على المجموعتين الاخيرتين: احد عشر كوكبا، ولماذا تركت الحصان وحيدا. لقد حاول محمود درويش في مجموعاته ما قبل الاخيرتين ايجاد صيغة جديدة لشعر السيرة، انطلاقا من السيرة الذاتية المرتبطة بسيرة المكان ودمج الازمنة من حيث تلاحم الذاكرة بالرؤيا. وقد استغل محمود درويش اساليبه المميزة وايقاعاته الخاصة لتخطي الحد الفاصل بين روح الشعر الحديث بايقاعاته الممزوجة وروح الحداثة باستنادها على لغة الايحاءات والصور والرؤيا. وظل محمود درويش متخبطا في حيرة لم تثبت على ايجاد صيغة خاصة لثورة جديدة في الشعر العربي الحديث والشعر الحر ذي الحداثة العصرية. هذا بالرغم من الابداع الخاص الذي مكنه من ايجاد عالم خاص به في مجال الاستعارة وابطال المفهوم العادي للازمنة الشعرية.

ان المجموعتين المذكورتين اعلاه هما فصلان في سلسلة لم تنته بعد، فمجموعة «لماذا تركت الحصان وحيدا» تبتدئ من حيث تنتهي المجموعة السابقة «احد عشر كوكبا» وهما جزء من مشروع كبير عبارة عن ملحمة جديدة بصيغة جديدة ذات وزن واحد يتوزع الى ايقاعات خاصة منفردة ضمن تعددية متناسقة، سنحاول ان نجد معادلتها ثم تحليلها الى عوامل ثم اعادة بنائها من جديد.

وقد استذكر صبحي حديدي في الاقتباس المطروح ما ذكره ادوارد سعيد عن شعر محمود درويش وكانه تلاحم عسير للشعر والذاكرة الجمعية، فانه من المسلم به ان الشعر الحديث ليس اداة لاي غرض بل الاداة في الشعر قد تكون الذاكرة على اساس تصور روحي للزمان والمكان، تلتحم احيانا برفض النسيان وتلتحم احيانا بالرؤيا المستقبلية عندما تبطل تماما اوضاع الحاضر لرفضه. الشعر هو عالم بحد ذاته، هو التعبير ذاته الذي يحتوي على ادوات تعكس طاقات الروح وايقاعاتها لتبني عالما لم يحدث ولن يحدث ولكنه كان يجب ان يكون. فالحياة العادية بكل ديناميتها هي بمثابة ظل لدى شاعر كبير كمحمود درويش، هي ظل لحياة اخرى هي تلك التي يحاول ان يصل الشاعر الى صيغتها بواسطة الشعر. فالشعر اذن هو صيغة، ومحمود درويش يحاول ان يكتب هذه الصيغة من حيث لم يستطع سابقوه من الشعراء.

ونخص بالذكر هنا شاعرا عربيا كبيرا وضع أسسا لصيغة جديدة في الشعر العربي الحديث، هو الشاعر بدر شاكر السياب. ولكن السياب بقدراته الهائلة وبشعره الكبير كان مؤسسا لاتجاهات جديدة ومتعددة، قد تكون بشكل او باخر اوحت لمحمود درويش بايجاد صيغة جديدة.

سنحاول في هذا الاطار طرح معالمها من حيث انتهى بدر شاكر السياب الى حيث بدأ محمود درويش.

واذ نستذكر هنا السياب بالذات لاننا سنحاول في طرح عملية الانتقال من الرمز الى الاسطورة، سنمثل باستعمال الرمز عند السياب، خاصة لانه يستعمل الرموز التي يطورها درويش الى الاسطورة- الاسطورة الحديثة ان صح هذا التعبير.

يسير شعر درويش في عدة مسارات مرحلية حيث تتشعب هذه المسارات في سبل متعددة لتلتقي في مركز موحد نحو انطلاقات جديدة وولادات جديدة. في كل مسار من هذه المسارات تفرض الرؤيا نبض المرحلة وتتجسد في ايقاعات مميزة وفقا لتضاريس المكان والزمان، الجسد والروح. وهذه الاخيرة تنتقل بواسطة الاستعارات المستحدثة، الى عالم موحد هو عالم الشعر الدرويشي.

الشاعر والطفل والانسان النهائي من الزمن الناس الى الخلاص الطبيعي

واكثرهم التحاما بالطبيعة كانعكاس للنبض الكوني. من هذا المنطلق يجد الشاعر نفسه ملتزما باستحداث التعابير والمفردات التي تبدو احيانا غير منطقية، غير مفهومة، وكانها تعبير عفوي عن علاقة تفاعل بين الانسان ومحيطه.

الانسان هو محور شعر درويش وهو همه الاول والاخير. الانسان في الغاز كينونته، علاقته بنفسه وبالحياة، بوعيه، بذهنيته، بتاريخه، باحلامه وبذاكرته ونسيانه. هذا اللغز الادمي يجعل من انسان محمود درويش شخصية مأساوية.

ان هذا الانسان كما قلنا يمر بعدة مسارات مرحلية متشعبة، ولكنه لا ينتهي عند مرحلة ما. ان عبوره في كل مرحلة يغيره، يتعبه ويصقله، فيذهب ما تبقى منه الى مسارات جديدة، لانه يموت في كل مرحلة الف ميتة ليولد من جديد ويستمر في عبوره السيزيفي الى ولادات جديدة.

مرحلة الانتماء الاولى هي الذات، الى ذات الشاعر محمود درويش ودورة الفلسطيني من بلده الى لبنان، ومن لبنان الى بلاده، ومن بلاده الى بلاد العالم العربي ومن هناك الى هنا ومن هنا الى هناك.

والمسار الاخر هو مسار الانتماء العربي الذي يسبق عند محمود درويش الانتماء الفلسطيني، والسبب في ذلك ان هذه المرحلة تاثرت بايديولوجية عبد الناصر القومية العربية. وتعبر عنها قصيدة «سجل انا عربي» المعروفة. ثم هنالك مسار الانسان الفلسطيني في رحلته المأساوية والتي تتمحورها قصيدة «احمد الزعتر»، ثم المسار الحديث الذي تصبح فيه المسارات السابقة شخصيات ثانوية او اجزاء كونية من بنية ذات رؤيا وطاقات واسعة، هو الانسان الشرقي الذي ينتمي الى اعظم واعرق الحضارات الشرقية، فيسير احيانا في مسارات عربية، اسلامية، فلسطينية قديمة، كنعانية وغيرها.

تلتقي هذه المسارات في مركز واحد هو هذه المرحلة الجديدة من شعر محمود درويش، ليبدأ في مسار جديد هو ولادة الانسان الجديد الذي تلتحم فيه الاسطورة والرؤيا.

شخصيات عديدة تتقمص شخصية واحدة. وتضاريس متنوعة، تضاريس للمكان، للزمان، للروح والجسد- تتحد في اسطورة جديدة.

لان الاسطورة زمنها هو الماضي، ومعالم مكانها معروفة، وابطالها معروفون. اما هذه الاسطورة الجديدة فتبطل الازمان والامكنة والشخصيات ذوات الانتماءات. شخصيتها هي انسان جديد يقتل الانسان القديم لاجل ولادة جديدة.

هذا الانسان لا يسير على قدمين، وقلبه ينبض بايقاعات لا تلائمها الايقاعات المعروفة. انه حي وروحه تحمل طاقات هائلة تستمدها من الكون، من الاساطير بقواها السحرية الباعثة ومن دينامية الحياة التي تسير الى مجهول جديد، يحاول الشاعر ان يبني له نظما جميلة تحمل من مأساته حزنا جميلا محتملا تنتعش له الروح ويتضامن معه العقل.

وفي هذه المسارات جميعا يعطي الشاعر للقصيدة حلوتها اللذهنية، والحسية ايضا. فتبقى اللغة لغة ويبقى المنشيء والمخاطب اثنان في تعالق مستمر لا يستطيع الواحد الاستغناء عن الاخر لان الشاعر بحاجة الى القارئ الذي سيحيي قصيدته ويعيش من خلال اسطورته، لهذا الوضع هو حوار مستمر بين الاثنين، وفي هذا الوضع ايضا امتاز محمود درويش وبرز من الشعراء الاخرين الذين ابدعوا في الحداثة، الا انهم قتلوا بعض قصائدهم الجميلة بفقدانهم القارئ الذي كان سيحيي القصيدة.

لم ينس محمود درويش متلقي القصيدة الذي سيبعثها الى الحياة، لقد حافظ في الطبقات الاولى من قصائده على لغة مشتركة بينه وبين القارئ، وكان عليه ان يبدع موسيقى جديدة للروح، وقوافي جديدة للاذن، لقد ابدع في ذلك وخلق الحانا جديدة من ايقاعاته المميزة.

وتفنن في ابداعه بايجاد التعابير التي رغم استحالاتها الذهنية فهي كالموسيقى الجيدة تفرض على المستمع اصغاء خاصا، لانها تلفت الانتباه الى نفسها:

«سأقطع هذا الطريق الطويل، وهذا الطريق الطويل، الى اخره، الى آخر القلب اقطع هذا الطريق الطويل الطويل الطويل..»

(ورد اقل، ص٥)

ان هذا المقطع يبدو للوهلة الاولى سلسا بسيطا، وقعه سهل على القارئ والسامع، ويظن بان الكلمات والتعابير فيه هي مجرد تكرار، ولكن حين نتمعن في هذه التعابير نجد انها ابعد واعمق مما يظن للوهلة الاولى.

فالفعل «اقطع» الذي هو في الاساس استعارة ميتة، يستعمل الى جانب كلمة الطريق. فالانسان لا يقطع الطريق بل يسير عليه، وهو لا يقطع الشارع بل يعبره. فاستعملت كلمة «يقطع» بالاستعارة، واصبحت هذه الاستعارة ميتة لكثرة استعمالها.

لكن هذا الشاعر المبدع يحيي هذه الاستعارة من جديد باستعمالها في السطر الثاني مع كلمة القلب بالايحاء. فان وجود كلمة «اقطع» الى جانب كلمة قلب يوحي لنا بالتعبير: يقطع القلب، اي يثير الحزن والشفقة والخوف والارهاق.

وتكرار كلمة الطويل يجعل لها ايقاعا يعطي معنى المسافة البعيدة التي توحي بمشقة السفر.

ولم يهمل محمود درويش القافية، بل وضع لها حدودا جديدة واصولا



جديدة، قلما يستطيع شاعر ان يسير عليها. وقد جعل هذه القافية المميزة التي انفرد بها تجسيدا للايقاع الذي يعبر عن ماهية القصيدة. وصل ذروة هذا الابداع في قصيدة «انا يوسف يا ابي»:

وانا يوسف يا ابي يا ابي، اخوتي لا يحبونني، لا يريدونني بينهم يا ابي. يعتدون علي ويرمونني بالحصى والكلام، يريدونني ان اموت لكي يمدحوني. وهم اوصدوا بابك دوني. وهم طردوني...»

في هذا المقطع يعتمد الشاعر القافية الداخلية بما يشبه لزوم ما لا يلزم في الشعر، ولكنها تعطي ايقاعا مميزا:

(يحبونني، يريدونني، يمدحوني، يرمونني، يريدونني دوني.. طردوني...)

ثم في المقطع التالي:

«هم/سمموا عنبي يا ابي، وهم حطموا لُعَبي يا ابي...

...غاروا وثاروا عليّ وثاروا عليك...»

هكذا يعطي درويش هذه الايقاعية التي ليست قافية وليست سجعا ولكنها نبض يئن ويرن ويحن، يحزن ويضغن ويلعن... الخ.

وهذه الترنيمة تحبها الاذن العربية، وهي لم تات على حساب الرمز او الاستعارة بل على العكس فهي بعد اخر لشعر درويش المميز.

هي نمط من الايقاعات التي يفرضها نمط القصيدة الجديدة.

الشعر الحديث هو شعر رؤيا وادواته التي يعبر بواسطتها عن هذه الرؤيا هي الرمز والاستعارة والصورة. وللاسطورة دور اساسي في بنية الشعر الحديث.

واستعمال الرمز في الشعر الحديث لا يجعل من هذا الشعر شعرا رمزيا كما يظن البعض. فالشعر الرمزي هو تيار فني فكري كغيره من التيارات الفنية والفكرية المتعددة. سيطر في فترات معينة ومحددة على الفن بجميع انواعه.

اما استعمال الرمز في الشعر الحديث فهو ضرورة تعبيرية تعطي النص الشعري ابعادا في بنية هذا الشعر المتعدد الاوجه، وهذا ما يميزه عن الشعر التقليدي. هذا ينطبق ايضا على المركبات والعوامل الاخرى مثل الاستعارة والصورة والتي لا يمكن للشعر الحديث بدونها.

اما شعر ما بعد الحداثة فهو هذا التيار الفني الفكري الجديد الذي يمزج بين جميع الانواع وجميع الميزات وجميع الاتجاهات، ويضعها في قالب جديد تختلف بنيته عن بنية الشعر الحديث: او التقليدي، او الرومانسي او الرمزي.

وشعر محمود درويش الجديد يحمل هذه الميزات، ليس عمدا، بل لانه يحمل رؤيا جديدة، تحتّم قوالب جديدة وبنية جديدة.

محمود درويش يبحث عن عالم جديد،، عن انسان جديد، عن نبي جديد. وفي هذا الاطار الذي يفرضه العصر الجديد على ابواب القرن الحادي والعشرين، وفي ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية لم يسبق لها مثيل، تغير الازمان، وبتغير المكان، وتختلط الامور ببعضها، فتصبح هنالك حاجة ماسة لرؤيا جديدة، لتعابير ومفاهيم جديدة ولقوالب جديدة.

هوية الانسان والتماؤه التقليدي يتعطلان في هذه المسيرة المتغايرة. وبما ان هوية الانسان وانتماءه هما ذات الانسان واصل كينونته- الانتماء الذاتي والانتماء الجماعي، والانتماء الانساني كجزء من الطبيعة والكون، كل ذلك يضيف الى حزن الانسان حزنا جديدا لم يكن واردا في السابق.

في هذه الحيرة والبلبلة التي يقف فيها الانسان، في ظروف كان يظن فيها انه امام تاريخ يعرفه، وحاضر يعيشه، ومستقبل يفكر في بنائه، ليجد نفسه امام شبح نفسه:

واطل على ما وراء الطبيعة:
ماذا سيحدث.. ماذا سيحدث بعد الرماد؟
اطلّ على جسدي خائفا من بعيد...
اطل كشرفة بيت على ما اريد...»
وينهي القصيدة في المقطع التالي:
واطل كشرفة بيت، على ما اريد
اطلّ على شبحي
قادما
من بعيد...» (لماذا تركت الحصان وحيدا، القصيدة الاولى).

هذه القصيدة هي التي تستهل مجموعة «لماذا تركت الحصان وحيدا» وليس صدفة. فهي القصيدة الوحيدة التي لا تنتمي في المجموعة الى فصل. فالمجموعة تحتوي على ستة فصول، يحتوي كل فصل منها على مجموعة قصائد.

اذن في هذه القصيدة مقدمة، بل مدخل خاص الى المجموعة كاملة، وهي تحتوي على رموز ومواضيع المجموعة كاملة، ولعل ما يستغلنا في اتجاهنا في هذه الدراسة هو المقطع التالي:

« اطل على موكب الانبياء القدامى وهم يصعدون حفاة الى اورشليم
واسأل: هل من نبي جديد
لهذا الزمان الجديد؟ »

اذن، هذا الزمان الجديد بحاجة الى نبي جديد، ولكن هل فعلا من نبي جديد؟

هو السؤال الذي يطرحه درويش في مقدمة هذه المجموعة. وفي هذا المدخل رموز كثيرة اخرى تتبادر امام طلة الشاعر على العالم المطروح امامه. والشاعر يطل هنا كشرفة بيت. البيت غير معرفة وهو اذن ليس بيته؟ كاي بيت، والشرفة التي تطل على ما يرى ومن خلالها هي جماد، وغير فعالة، بينما الانسان هو الذي يعطيها الحياة، وهي بالطبع اداة لهذا الانسان الذي يطل من خلالها الى العالم.

والشاعر يفصل ما يرى من خلال هذه الشرفة: الاصدقاء، النورس، كلب الجار، اسم ابي الطيب المتنبي (المسافر على حصان من طبريا الى مصر)، الوردة، الشجر الذي يحرس الليل من نفسه، الريح الباحثة عن وطن في نفسها، امرأة تتشمس، موكب الانبياء القدامى، صورة الشاعر الهاربة من نفسها، جذع زيتونة زكريا. المفردات التي انقرضت من «لسان العرب»، الفرس، الروم، السومريون، اللاجئون الجدد. الهدهد، اللغة والشبح القادم من بعيد.

اذن الطلة ليست على ما يرى من خلال شرفة البيت. وهذه الشرفة تصبح رمزا مثلما تصبح النظرة نفسها رمزا ثاقبا يتعدى دلالته الى دلالات ذوات ابعاد اخرى.

يقف الشاعر امام العالم ليرى ان الزمان تغير وان المكان تغير، وللزمان والمكان الجديدين- هل من نبيٍّ جديد؟ سؤال، ربما مجازي، وربما يحتاج الى اجابة، او الى تاكيد- سياتي فيما بعد.

في مجموعة «احد عشر كوكبا» لا يزال الشاعر ينظر نظرة ثاقبة الى الحياة، والى ما وراء الطبيعة، مشاهدا هذه التغيرات الهائلة:

« وزمان قديم يسلم هذا الزمان الجديد مفاتيح ابوابنا »

لا يزال الزمان في عداد الماضي، وغرناطة رمز الازل والفتوحات العربية في الماضي، هي تلك الذاكرة الجميلة. ذاكرة القصيدة. لان هذا الماضي ولى، وفي نظرة من الحاضر، من الصعب تحقيق هذه الذاكرة في سياق الزمن الواقعي. هذا البيت من قصيدة « في المساء الاخير على هذه الارض » والعنوان يكفي لايحاء هذه الفكرة المطروحة.

وفي قصيدة اخرى بعنوان « انا واحد من ملوك النهاية » في المجموعة ذاتها، تدخل رموز جديدة هي ايضا اساسية في هذه الملحمة والتي ستتضح في المجموعة التالية: «لماذا تركت الحصان وحيدا ».

الظل والاسم هما الرمزان الاساسيان. الظل يرتبط بالشبح القادم من بعيد، والظل هو القرين الذي يلاحق الشاعر، والظل هو تلك الشخصية التي لا يمكن تحديد هويتها: فظل او شبح ابي هاملت هو ظل وشبح وليس ابا هاملت نفسه.

اما الاسم فهو الهوية. اسم الانسان هويته، واسم المكان يرتبط بهوية ساكنيه من بني الانسان (الامة، الشعب الدولة) وتحريف اي اسم هو تحريف للهوية الذاتية والجماعية:

«... لا اطل على الظل كي لا ارى
احدا يحمل اسمي ويركض خلفي: خذ اسمك عني
واعطني فضة الحور. لا التفت خلفي لئلا
اتذكر اني مررت على الارض، لا أرض في
هذه الارض منذ تكسر حولي الزمان شظايا شظايا...»

فهذا الملك الذي هو واحد من ملوك النهاية، وفي هذه النقطة من التحول في الزمان والمكان- لا يريد ان يطل على الظل، ولا يريد ابدا ان ينظر خلفه لئلا تمسه لعنة زوجة لوط.

الزمان تكسر كالمرايا ولا يمكن بعد ان يرى شخصيته في هذه المرايا المكسرة: ففي قصيدة المقدمة من المجموعة التالية كما اسلفنا يفضل الشاعر ان يطل على شخصيته وليس على الظل، او على صورة ستظهر قبيحة لو بقيت بعد تكسير المرايا:

واطل على صورتي وهي تهرب من نفسها
الى السلم الحجري، وتحمل منديل امي
وتخفق في الريح: ماذا سيحدث لو عدت
طفلا؟ وعدت اليك.. وعدت اليّ»

الصورة، الظل والشبح هي معالم الانسان، وهي انعكاس لشخصه، لذاته ولانسانيته: والاسم هو رمز كينونته ورمز وجوده، والانسان هو الذي يطلق الاسماء على مركبات الخليقة، وقد كانت هذه نعمة الهية: « علم، آدم الاسماء »، وقد طرحت اوجه دلالاتها واهميتها في دراسات لنا سابقة، في شعر محمود درويش.

في مجموعته السابقة «ورد اقل » ينهي الشاعر بقصيدة بعنوان «نؤرخ ايامنا بالفراش » والتي تجيء فيها كتابة الاسماء تاكيدا للاصل وللهوية:

«وسنكتب اسما ما كي تدلّ على اصلها شرق اجسمنا وهذا الاصل في هذه الهوية والانتماء هو تاكيد لتاريخ الجسد والروح:

« من انا بعد هذا الرحيل الجماعي، لي صخرة
تحمل اسمي فوق هضاب تطل على ما مضى »

(احد عشر كوكبا ٢١)

هذا المقطع من قصيدة «خطبة الهندي الاحمر ما قبل الاخيرة، امام الرجل الابيض» (ص ٣٠-٥٣) من مجموعة «احد عشر كوكبا» وهي تعتبر قصيدة مركزية في المجموعة وسناتي الى مزيد من تفاصيلها في السياق المناسب خلال هذه الدراسة.

(تجدر الملاحظة ايضا الى عنوان القصيدة والتي تعطي كما اسلفنا مع قصائد عديدة تظهر فيها كلمتا « اخير »- تعطي تحديدا لانتهاء فترة او لانتهاء ما، فحيث ينتهي فصل ما يعني ابتداء فصل جديد.)

فالاسم /الهوية المرتبط بصخرة الواقع هو في نهاية المطاف شيء للذاكرة وربما للتاريخ مع ان ذلك ليس مضمونا. ان اقتران الاسم بالصخرة، مع ايحاءات القوة والابدية، فان الصخرة هي جماد يخلو من الاحياء.

ان فقدان الحياة في شعر محمود درويش هو انبعاث لحياة جديدة.

ومع هذا فان الايحاء، هنا يبعثنا الى عدة اتجاهات لا نستطيع تجاهل واحد منها هو:

« ليت الفتى حجر
يا ليتني حجر »

والتي اوردنا سياقاتها ودلالاتها المتشعبة في الدراسات السابقة اما هنا فهي تتطور من صخرة الواقع وصخرة الذاكرة لتنبعث فيها الحياة:

« اسماؤنا شجر من كلام الاله، وطير تحلق اعلى
من البندقية. لا تقطعوا شجر الاسم يا ايها القادمون »

(ن.م- ٤٠)

ان الموت والحياة هما ما يوجه شعر محمود درويش في هذه الملحمة وياخذ اتجاها جديدا هو البعث - التقمص، حيث يجب ان تستمر الروح في قوالب جديدة، وعن هذه الروح سنفصل في الفصل القادم ولكنه في هذا السياق يبقى يحلق في روح الهنود الحمر واعتقاداتهم مما يتلاءم والجزء الاول الاساسي من الحياة الجديدة، هي الايمان بهذا البعث.

« خذوا ارض امي بالسيف، لكنني لن اوقع باسمي
معاهدة الصلح بين القتيل وقاتله. لن اوقع باسمي
على بيع شبر من الشوك حول حقول الذرة.
واعرف اني اودع اخر شمسي، والتف باسمي
واسقط في النهر، اعرف اني اعود الى قلب امي... »

(ن.م. -٤٨)

ان هذا الالتفاف بالاسم والسقوط في النهر هو موت اسطوري يوحي بابعاد متعددة. هذا السقوط المشترط هو موت لبعث جديد، فيه عودة الى حياة الطفولة وهي ليست فقط طفولة جديدة، بل هي ايضا ذات ايحاء في بعد اخر هو العودة الى الام، ولا حاجة لان نذكر هنا ان الام، من ناحية الانتماء الشخصي هي ايضا رمز - فالام هي الارض، والام هي الشمس (كمصدر الحياة)، والام هي الحياة نفسها.

ان تاكيد الذات وتاكيد الهوية والانتماء بحاجة الى اب للاسم، الى انتماء سلالي:

« وبحثت لاسمي عن اب لاسمي، فشقتني عصا
سحرية، فتلاي ام رؤياي تطلع من منامي
الانبياء جميعهم اهلي » (احد عشر كوكبا، ٥٨)

هذا المقطع من قصيدة « على حجر كنعاني في البحر الميت »، وهذه القصيدة تشكل بنية اساسية في المجموعة كلها. لنتامل المقطع التالي من المجموعة التالية: « لماذا تركت الحصان وحيداً »:

« وفي عزلتي طرق للحجيج الى اورشليم-
الكلام المتقف كالريش فوق الحجارة،
كم من نبي تريد المدينة كي تحفظ اسم
ابيها وتندم: « من غير حرب سقطت.. » (ص ٥٩)

ان عملية البعث، هذه الحياة التي تاتي بعد الموت، تؤكد هوية جديدة وتؤكد انتماء جديدا:

« ربما اتدبر امري هنا. ربما
الد الان نفس بنفسي
واختار لاسمي حروفا عمودية.. » (لماذا تركت الحصان وحيدا-٢٩).

في هذه الولادة التي تاتي بعد نفي كلي لوجود آني، هي ولادة بلا- زمان ولا مكان. يتعطل الزمن ويتعطل المكان:

ههنا حاضر
لا زمان له،
لم يجد احد، ههنا، احدا يتذكر
كيف خرجنا من الباب ريحا، وفي
اي وقت وقعنا عن الامس فانكسر
الامس...
ههنا حاضر
لا مكان له،
ربما اتدبر امري، واصرخ في
ليلة البوم: هل كان ذاك الشقيّ
ابي، كي يحملني عبء تاريخه؟
ربما اتغير في اسمي.. (ن-م، ٣٠).

من هنا تبدأ الاسطورة: يبدأ الانسان الجديد، البعث من خلال تقمص هو التحام لعدة شخصيات في شخصية واحدة.

وكما كان في الاسطورة القديمة مع « اناث »

« واناث تخلق نفسها
من نفسها
ولنفسها
وتطير خلف مراكب الاغريق
في اسم اخر.. » (ن-م ٩٠)

وكما كان ايضا مع العنقاء، ومع جلجامش الاكادي فهي الحال مع انسان درويش.

## الكاتبة سحر خليفة:



# ستمتلئ البلد بشخصيات هجينة (٣)

### حاورها: رياض بيدس

**(ننشر فيما يلي الجزء الاخير من هذا الحوار، وكنا قد نشرنا الجزءين الاول والثاني منه في الملحقين السابقين)**

**س: المرأة بالنسبة لسحر خليفة ليست رمزا.. وليست ارضا.. المرأة هي المرأة. هل غيرت المرأة بعض المفاهيم الاجتماعية تجاه المرأة؟ ام كان على احمد شقيق نزهة ان يقوم بعملية وهوت لكي تقبل اخته اجتماعيا؟ التمرد ضد الاحتلال لم يحمل معه تمردا على وضع المرأة. هذا ما نراه ونلمسه في «باب الساحة».**

ج: الحقيقة ان التغيير النسوي او الفكر النسوي الذي يحاول ان يعطي موديلا جديدا وفكرا جديدا عن المرأة من خلال منظور المرأة لم يبدأ بالانتفاضة. هذا تكثف في الانتفاضة. وكانت بداياته في منتصف السبعينات حين كانت المرأة منخرطة في الاحزاب والتنظيمات اليسارية وتعلمت المرأة مفاهيم حقوق الانسان وحاولت ممارستها، تعلمت فنون التكتيك في الاحزاب، تعلمت فن الصراع والبقاء من خلال المواجهات مع الاسرائيليين، ولما تعلمتها على المستوى الوطني حاولت ان تعكسها على قضيتها الذاتية التي هي قضية المرأة. اذن في منتصف السبعينات بدأت النساء، بتحركهن الوطني وبتجمعهن في التجمعات والتنظيمات والاحزاب السياسية، عندئذ بدأت تباشير الوعي وكان اول تجمع نسائي اول تنظيم نسائي سنة ١٩٧٨ وبادرت اليه الجبهة الديمقراطية وفيما بعد الشيوعيات، ثم الشعبيات، ثم الفتحاويات. ما ان كانت سنة ١٩٨٢ حتى صار عندنا اربعة تنظيمات نسائية كبيرة. بدأت هذه التنظيمات بالعشرات، ثم صارت تضم الالاف. وعندما اندلعت الانتفاضة، التنظيم النسائي الذي كان بالمئات صار بالالاف، لان الانتفاضة بديناميتها كانت نسائية، فالرجال كانوا معتقلين، والنساء هن اللواتي كن يملأن الشوارع. فصار الوجود النسوي في الشارع الفلسطيني كثيفا وحارا. اذا اردت ان تقول انه في «باب الساحة» لم نقدر ان نرى ان هنالك تغييرا قيميا عن المرأة...

**س: عندما سألت سمر الداية زكية عن كيف اثرت الانتفاضة على النساء قالت «همّ فوق همّ»؟**

ج: بمنظور زكية البسيط هم المرأة زاد. وفعلا على مستوى عملي هموم المرأة زادت. فوق الحبل والولادة شغل البيت ما زال عليها، مفروض ان تشتغل لكي تقوم باود الاولاد لان الرجل يا اما هارب في الجبال يا اما في المعتقلات، وصار الوجود الذكوري قليلا في اول سنوات الانتفاضة. وبالاضافة الى هذا عليها ان تحمي الرجل عندما تقوم المعارك، تحميه من الجندي او تسحبه من بين يديه. يعني يجب ان تكون في الشارع باستمرار اما للعمل من اجل كسب القوت او للدفاع عن الرجل او اخذ مواقعه. لاحظ في اول الانتفاضة كانت قائدة لفتح امرأة. عندما صارت كل الرؤوس الذكورية في المعتقلات صارت ربيحة دياب هي التي تقود فتح، هذا لا احد يعرفه ولا يسجل في التاريخ. ربيحة دياب هي التي قادت تنظيم فتح بأكمله في الضفة الغربية. اذن، هم المرأة واعباؤها ومسؤولياتها زادت، مقابل هذا على المستوى الادبي كانت هناك شخصية سحاب، التي لم نقابلها ولا مرة لانها طيف يروح ويجيء، وهي مزودة بوعي جديد. لقد استقبلناها من خلال وعي حسام، الذي كان يتذكر ما تقوله سحاب. هذا الكلام الذي تقوله سحاب هو خلاصة الوعي والقيم النسوية التي بدأت تنتشر في المناطق المحتلة. اذن، صار هنالك تغيير والتغيير لم يبدأ بالانتفاضة، بل تكثف في الانتفاضة. وما زال هذا الوعي النسوي وهذه المفاهيم الجديدة عن المرأة موجودة، لكن تلاحظ اننا نحن في حالة صراع. يعني مقابل تزايد عمل المرأة وتفتح مداركها للمجتمع ولوضعها الخاص وللمشاكل العامة سواء الوطنية او غيرها وازدياد نشاطاتها على كافة المستويات الاقتصادية او الاجتماعية او السياسية، هناك ردة لدى النساء، طبعا افرزتها الحركات الاصولية.

وارتداد المرأة وجعنا كثيرا. لكن الصراع ما زال قائما بين القوى التي تحاول دعم مسيرة التقدم الاجتماعي، والمستعدة بالذات مسيرة المرأة والقوى الظلامية الاخرى التي تحاول ان تشد المرأة الى الوراء وتكرس وضعيتها الدونية والمستعبدة.

### تعلمت من اخطائي

**س: احيانا وانا اقرا كتبك واسمعك، اشعر انك تسكنين هذا المجتمع وتشدينه من شعره رغما عنه الى حيث تريدين او حيث يجب ان يكون متاهية الى الحديثة. من اين لك كل هذه القوة؟ يتنابني شعور احيانا انك تريدين تدمير العالم واعادة بنائه.**

ج: في «الصبار» و«عباد الشمس» و«باب الساحة» قمت بهذا العمل وكان عندي افكار جاهزة حول تغيير هذا المجتمع الذي يرفض الثورة. الحقيقة بسبب ما نراه من انهيارات وارتدادات يقدر الواحد محتارا ومترددا بتفسيره لكيفية رجوع هذا المجتمع الى الوراء. النقطة الاساسية انني تعلمت خلال مسيرتي الادبية من اخطائي كنت اشد المجتمع قسرا واحاول ان اوصله الى التطور الذي اريده انا. مثلت هذا في الروايات السابقة، ما عدا «الميراث»، والى حد كبير «مذكرات امرأة غير واقعية» بخصوص المسائل النسوية. في هاتين الروايتين لم اشد شعر هذا المجتمع بل حاولت ان احلل وافكك الشخصيات.

**س: صار فيه ليونة وتعاطف اكثر.**

ج: اجل، تعاطف وليونة وتفهم.

**س: من اجل تحسين المجتمع.**

ج: من اجل فهمه، لتحسينه اعيد نفس الكرة، كما في «الصبار» و«عباد الشمس» تحسينه يعني ان ارجع الى قوالب جاهزة. انما تحليله لفهمه. انا مستعدة الان ان اتحدى اي ناقد ان يلتقط في اية شخصية او اي مشهد اني احاول ان افرض رؤيتي في «الميراث» وهذا تعلمته من خلال مسيرتي الادبية وعملي في المجتمع وانخراطي في الحركة الوطنية والحركة النسائية.

### تفتيت اوصال البلد

**س: في بداية رواية «الصبار» المنشورة سنة ١٩٧٦ يوقف اسامة الكرمي العائد الى بلاده على الحاجز الاسرائيلي ويحقق معه جندي اسرائيلي تحقيقا يكاد يكون تراجيكوميديا.. ورغم كل الاذلال في التحقيق، إلا اننا كقراء كنا نلمس ونعرف أن هنالك أملا، فاسامة قدم بروح كلها تحد، بعد اتفاقية اوسلو، وفي صفحات روايتك الاخيرة «الميراث» (١٩٨٧) تموت فتنة في باص ينتظر دوره على حاجز اسرائيلي. ما الذي تغير بين الحاجزين، حاجز «الصبار» وحاجز «الميراث»؟**

ج: حاجز اسامة كان ممرا اكثر منه حاجزا، ممر من الحدود المفروضة او الحواجز التي فرضتها واقامتها السلطة الاسرائيلية لمنع الفلسطيني من العودة الى وطنه.

يكفي ان اسامة وغير اسامة اخترقوا هذا الحاجز ودخلوا الى الضفة الغربية وانخرطوا بين الناس حتى تشعر ان هذا الحاجز كان قابلا للاختراق وهو ممر للوطن لكن الحاجز الذي ماتت الى جانبه فتنة هو الـ «بلوك» او الانغلاق او التسكير على اي منفذ ليس فقط الى الخارج، اي الى العالم العربي الذي هو جزء منه، انما هو ايضا حاجز يفتت اوصال نفس البلد، وتجد انه تعبير مجسد عن الحواجز التي تراها تقريبا يوميا ما بين المدن والقرى، والتي تعيق وصولنا الى الوطن ونحن داخل الوطن.

**س: هل بقي هناك امل؟**

ج: لم يبق أمل، في هذا الوضع عندما تصير الحواجز داخلية.

**س: الفلسطينيون حراس حواجز الاسرائيليين؟**

ج: في هذا الوضع...نعم.

**س: ما هو..**

ج: انتظر. يجب ان تاخذ السياق. السياق لا يريك ان سلطة فلسطينية هي التي اقامت الحاجز. اذا كنت تذكر في بداية مشهد المهرجان عندما ارادوا ان يستقبلوا سيارة الاسعاف كانت امامهم نقطتان، النقطة العربية والنقطة العبرية. يعني الحواجز تزيد بدلا من ان تقل. فبدلا من ان تكون عبرية صار فيه نقطة عربية ايضا، والنقطة الفلسطينية تحمي النقطة العبرية. صحيح اني احاول ان اجسد كل هذا في «الميراث»، لكن اذا اردت ان تاخذ تفاصيل الواقع الذي نعيشه، فنحن داخلون في مازق كالكارثة نحن بيدنا ادخلنا نفسنا فيها. انا لا افهم ولا الشارع الفلسطيني الذي انا على احتكاك دائم فيه يستوعب فكرة ان شرطة السلطة تدافع عن الاسرائيليين. يعني انت لكي ترشق حجرا على الاسرائيليين يجب ان تمرر هذا الحجر من غربال السلطة. باي احتلال صار هذا في العالم؟

**س: يعني هم مقاولون عند الاسرائيليين؟**

ج: انت قلت ذلك، انا لا اقول ذلك.

**س: اذن؟**

ج: باي وضع في العالم عندما تكون محتلا ومستعمرا لا يسمح لك فيه من قبل قواك الوطنية ان تدافع عن حقوقك الوطنية؟ هذا لم يصر، على الاقل، اذا وصلت المسالة الى طريق مسدود ترفع السلطة يديها وتقول «ما خصنيش» ولتعطي الناس حرية التصرف، ليقاوموا ويعملوا مشاريع للنضال كما يشاؤون ولتسترد وضعية الاحتلال، ان نسمى مخربين وعندنا بدل النقطة نقطتان؟! هذا ليس معقولا «الميراث» حاولت ان اجسد هذا الوضع او DRMATIGE IT لكن من الصعب ان يجسد لك كتاب واحد واقعنا باكمله. نحن الذين نعيش في الداخل نرى واقعا اكثر تدهورا، واكثر عبثية من الاحتلال.

### تراجع مشروع تحرير المرأة

**س: هم ذبحوا الوطن، والاهل ذبحوا تفاحة عقال، والانتفاضة ذبحت سكينة (ام نزهة) في «باب الساحة» وولهف في «عباد الشمس» تصرخ عندما ترى خضرون اليساري الاسرائيلي: «وصلوك يا خضرون قبل ان يصلوني، امنوا بك قبل الايمان بي. يحاولون الوصول الى شارعك قبل الوصول الى «هالبزي»، وخضرة تقول «والاب يضرب والجوز يضرب واليهود تضرب.. » ونهلة في «الميراث» تتزوج سمسارا من جيل والدها.**

**هل فشل مشروع تحرير المرأة كما فشل الحل السياسي؟**

ج: مشروع تحرير المرأة في تراجع. فالتنظيمات النسائية بدأت تفقد كوادرها بكميات هائلة وتفقد قياديات لانهن لم يعد عندهن الايمان بسبب ترهل وتفاهة الحل السياسي، لذا قرفن وابتعدن عن التنظيمات وتخلين عن مواقعهن القيادية سواء في التنظيمات السياسية او في التنظيمات النسائية. اذن، نحن كحركة نسائية خسرنا كوادر على صعيدين: كوادر على صعيد القياديات اللواتي عندهن الخبرة التي لا تقدر بثمن لانها حصيلة تجربة غنية ومرارات كثيرة على مر ثلاثين سنة، هؤلاء تقوقعن وتراجعن وارتددن وتركن مواقعهن وبنفس الوقت الكوادر الصغيرة، النساء الصغيرات، مللن فتركن مواقعهن في التنظيمات والحركات النسائية. ايضا على مستوى نظام السلطة الفلسطينية لم نر ان السلطة استطاعت ان تحقق حتى الان اي انجاز باتجاه انجاح مشروع المرأة كمسيرة. قانون الاحوال الشخصية الذي يناقشونه منذ اربع سنين حتى الان لم يخرج بصيغته النهائية، ونحن كنساء نشك ان يلبي بعض الطموحات التي ناضلنا من اجلها عبر سنين عديدة.

**س: شخصيات رواية «الميراث» عاديات. النبرة النسوية رغم اللذع احيانا خفيفة، ومع ذلك اكثر فعالية والقناعا ونضجا. ثمة مازق هام يخفف من لهجة جميع الشخصيات، حتى الرجالية. ثمة انكسار وتراجع معنويان وروحيان طاغيان على الجميع. هل تساووا جميعا امام الوضع العام البائس؟**

ج: القسم الاول من السؤال يتعلق في كيفية رصدي للاحداث واللهجة (TONE) التي استعملتها. صحيح ان اللهجة خاصتي تخللت، صارت الين، صار فيها نضوج اكثر، صار فيها استيعاب ورحابة، لان التجربة كانت تجربة اوسع، والمراحل التي مررت بها اعطتني منظورا اعمق واشمل للقضايا الاجتماعية. هذا بالنسبة لادبي، اذن نحن نستطيع ان نفهم لماذا تغيرت اللهجة (TONE) بسبب اتساع التجربة ورحابتها.

بالنسبة للشخصيات الذكورية والانثوية، فان الحل السياسي هو الذي زاد الامور تعقيدا بدلا من ان يحلها والذي افقد الشارع الفلسطيني الامل في ايجاد حل حقيقي لكي يخلص فيه من الاحتلال، حل للكل وليس لمجموعة افراد، ان شكل الحل الذي اعطته اوسلو هو تكريس للاحتلال واعطاؤه مصداقية ومشروعية، ولم تفرض او تجيء باي حل حتى على المستوى الاقتصادي، وهذا ادى الى انهيار الشخصيات معنويا، والى انهيار معنويات الناس. وانا عادة عندما احاول من خلال الـ DRAMATIGATION ومن خلال الشخصيات التي هي نمطية ولها بنفس الوقت فردانيتها احاول ان اعكس مزاج الناس بمختلف فئاته وطبقاته وشرائحه. الان تلاحظ ان هذه الشخصيات التي تمثل التنويعة او التشكيلة الفلسطينية او تشكيلة الشخصية الفلسطينية كلهم منهارون، ولا يستطيعون ان يحققوا ذاتهم بالمرة. حتى من حقق ذاته وجاء ليبني مصنع تطوير او تنمية لتنقية الجو لا يستطيع ان يجد نفسه في وطنه.

**س: هنالك شخصية باسل وابو العز في «الصبار» و«عباد الشمس»، ما الدور الذي يستطيع القيام به ابو العز في هذه الايام العصيبة جدا؟ وهل سيستبدله ابن فتنة الهجين؟**

ج: ابن فتنة هو الوريث. هذا المولود الهجين الذي هو ليس باسرائيلي او فلسطيني هو الذي سيرث هذا البلد، وليس بالضرورة ان يكون هو ابن الجو الحقيقي او الاصيل. وستمتلئ البلد بشخصيات هجينة كابن فتنة الذي لا هو فلسطيني ولا اسرائيلي، هي مزيج. مازن جيفارا هو امتداد لباسل. خاليا ابو العز هو في موقع مازن جيفارا.

**س: شخصيات سحر خليفة الشعبية: ساحرة. الشخصية سعدية وخضرة وزكية ونزهة وزهدي ومازن جيفارا والبهلول وغيرهم الكثير كلها مسحوبة من عمق الواقع وتنبض حياة. هذه الشخصيات يلتقيها الواحد في كل مكان، لا بل ان سعدية ترتسم في الذهن وتكاد تخرج من الكتاب ماشية، خاصة في فصل الحمام. من اين كل هذه الحميمية؟**

ج: من العمل الميداني. انا اشك ان اي كاتب او شاعر باستطاعته ان ينقل حس الشعب او الناس بدون ان ينخرط فيهم ومعهم. عملي الميداني، ولحسن الحظ بواسطة هذا المركز الذي نعد فيه بحوثا ودراسات عن المرأة، اتاح لي مجالا وفرصة لا تعوض بالدخول في العمق الشعبي والحارات الشعبية.

**س: اذن عندما كتبت «الصبار» و«عباد الشمس» لم يكن عندك مركز؟**

ج: صحيح، عندما كتبت عن العديد من هذه الشخصيات لم يكن عندي مركز ولا كنت داخلة في الحركة النسائية ولا كانت هنالك حركة

(البقية على ص١٦)



## حجر في الهواء



من محفوظاتنا القديمة، ذلك الجواب الفذ للعبقري مايكل انجلو، عن سؤال يتعلق بكيفية انجازه تمثال النبي موسى، فقد قال يومها: إن التمثال كان موجوداً هناك، داخل الحجر، ولم يكن عليّ إلا أن اخرجه الى النور بإزميلي.. ولو ان هذا الجواب كان مقتصراً في دلالته، على احد اهم التماثيل في التاريخ، لما بقي منه الا ارتباطه بالمناسبة، ولكنه جواب منفتح على عدد لا يحصى من الإمكانات، بحيث نرى فرصة لاستخراج الكثير من الافكار، والذكريات، والخواطر، والامثولات، من اي شيء تقريباً.. وغير بعيد عن جواب انجلو، ما قاله شاعر التشيك الكبير جان سكاسيل من ان الشعراء لا يخترعون القصائد، فالقصيدة موجودة في مكان ما، هناك، ولا يفعل الشاعر شيئاً سوى ان يكشف عنها، وعلى هدي هذه الحقيقة، كتب بابلو نيرودا قصائد مجموعته «حجارة تشيلي» التي قيل فيها ان لنيرودا من المخيلة ما يمكنه من ان يفرد لقصيدة كاملة لكل حجر من حجارة بلاده، وصنع بدر شاكر السياب اسطورة نهر «بويب» الذي ظنه القراء منافسا لدجلة والفرات نظراً لما فيه من «حصى يصلّ في القرار– صليل آلاف العصافير على الشجر»، وإذا بويب اصغر من قناة في مجاري البلدية خلف قرية نائية، وكنا رأينا كيف استخرج رياض بيدس، من بوط فواز طرابلسي، تلك الفنطازيا المدهشة.. لقد تحدث افلاطون عن النفس الكونية، وهي تحمل في احد معانيها ان للكون اسراراً مترابطة، وليس الا ان تتناول الاشياء بنظرة تتجاوز السطح حتى تنفذ الى فرح الاعماق، اليس هذا ما قصده الشاعر العربي القائل:

وتزعم انك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر؟

على ان المفارقة التي ينطوي عليها هذا المقال في هذا المقام، هي انني جعلت حجري كبيرا فما عدت اعرف كيف اضرب، لان ما سيفضي إليه هذا المدخل الذي يكاد يوحي بالفلسفة، ليس إلا خواطر وتداعيات –طرائف إن شئتم وشتان – من وحي ما لم يخطر لي قبل تلك المصادفة، فليس ما ستدور حوله العناوين الفرعية التالية الا الطربوش الذي كان يعتمره آباؤنا الى عهد قريب، وبعضهم لا يزال، اما المصادفة فهي وقوعي على صورة مشهورة للزعيم العربي السوري ابي سهيل، فارس بك الخوري، ولكن من يدري.. فقد يكون الطربوش مفتاحاً لابواب ليست في الحسبان..

### طربوش حسب الطلب

كنت اتأمل صورة ابي سهيل، وافكر في الروح الدمقراطية التي كان آباؤنا يتمتعون بها، فهذا زعيم لبناني الاصل، من اسرة مسيحية بروتستانية، قادته ساحات النضال الى سورية، فاتخذ دمشق مقراً، وتحول الى الارثوذكسية، ولم يلبث الشعب ان اختاره رئيساً للمجلس النيابي، فأين هو الشعب العربي المعاصر الذي يقبل بابن «اقلية» رئيساً للسلطة التشريعية؟ واي رئيس؟ انه رجل مقاتل، طرف وليس محايداً، ولكن اهل الوطن اعطوا صوتهم لمن هو اكثر كفاءة واخلاصاً فماذا في ذلك؟..

واعود الى صورته بطربوشه الفخم المائل، فأضحك وانا اذكر ما روته لي حفيدته، الكاتبة المعروفة كوليت الخوري، عن حكايته مع ذلك الطربوش. فقد كان معروفاً عن فارس بك، انه يتميز بجمجمة ضخمة، مما جعل حصوله على طربوش مناسب امراً عسيراً، وقد سأل وبحث وارسل السعاة الى أن وجدوا ضالته في حيّ الحريقة الدمشقي العريق. وسرعان ما ادرك بائع الطرابيش مأزق فارس بك، فتمنع وتدلل وطلب ثمناً للطربوش عشر ليرات سورية لا تنقص فرنكاً واحداً، وكان هذا مبلغاً خرافياً في اسعار ذلك الوقت، وعاد السعاة الى فارس بك يبلغونه بالامر، فغضب وعجب، وركب الحنطور الذي توجه به الى الحريقة، حيث وجد البائع الظريف الماكر ينتظره، وكان هذا هو المبادر، فقال:

– اسمع يا ابا سهيل.. ستقول ان الطربوش عندي اغلى من البدلة، وأنا لا انكر هذا، ولكنك لا تعلم انني صنعته خصيصاً لك، فالشوام كلهم يعلمون انه لا يوجد قالب طرابيش في دمشق على مقاس راسك. لهذا فلك الله، وانت البيك ورئيس المجلس وعليك ان تدفع ثمناً لطربوش ليس له اخ في البلد. وفوجىء ابو سهيل بسداد منطق «الطرابيشي» واخذه العجب، فترجل عن الحنطور وهو يقول: لهذا السبب لن اعطيك الا نصف ليرة.. فلماذا لم يكن لطربوشك اخ، فلن ترى، ايضاً، رأساً مثل رأسي في بلاد الشام.. ولذلك لن تتدلل على زبونك الوحيد..

وحين كان «الطرابيشي» مشدوهاً بسرعة بديهة البيك، كان هذا يضع تاجه الاحمر على راسه، ويجعله مائلا، للمباهاة والفخفخة، ويضع الليرات العشر في يد «الطرابيشي»: هذا لذكائك.. لا للطربوش!

### طربوش النذل

اما الشيخ الشهيد عز الدين القسام، فهو وان كان يلفّ عمامته احياناً على طربوش، الا انه اخذ موقفاً مفاجئاً من غطاء الرأس التقليدي هذا، فقد طلب من شاعر الشعب يومذاك، الزجال–الشهيد فيما بعد–نوح ابراهيم، ان يكتب اهزوجة سهلة الحفظ، تدعو الى نبذ الطربوش، واستبداله بالحطة والعقال، وشرح له الحكمة من وراء ذلك، ولنوجيء اهل حيفا بشاعرهم الاثير في ساحة الخناطير، يرفع عقيرته بالغناء:

حطة وعقال بخمس قروش

والنذل لابس طربوش

وذهر الافندية الذين كانوا يتباهون بطرابيشهم المائلة، وشراشيبها المهتزة على وقع خطاهم، ولكن من الذي يرضى بصفة النذل؟ وهكذا انزاح الطربوش عن الرأس وشهدت الاسواق الشعبية سباقا على الحطة والعقال، وكان المجاهد ابو ابراهيم الكبير–وريث القسام في قيادة الثورة بعد استشهاده–ممن يلبسون الحطة والعقال اصلاً، فلم يكن لديه حرج في ان يستفسر الشيخ الجليل الذي هو ابعد ما يكون عن النزوات، وكان ابو محمد القسام ينتظر هذا السؤال، فقال:

– ولقد لفت نظري ان الطرابيش انواع، منها الطويل ومنها القصير، ومنها ما هو بلون احمر غامق، ومنها ما هو فاتح، ولقد لاحظت ان رجال الشرطة الانجليز يهتدون الى طريدهم العربي بسهولة من تمييزهم لطربوشه، فإذا افلت منهم تبعوه الى البيت ونحن عازمون، بإذن الله، على المظاهرات، وعلى ما يسميه الاحتلال الإنجليزي باعمال الشغب الى ان تستقلّ هذه البلاد، وعندما يلبس المواطن حطة وعقالاً، فإنه –عند المطاردة–يضيع بين سيل الحطات المتشابهة.. وانا اوصي، لهذه المناسبة، ان تضللوا رجال الشرطة اذا تبعوا احدكم، بالركض في اتجاه واحد، ليختلط عليهم الأمر، وسيضيع طريدهم بين الجموع المتشابهة»..

هذه واقعة تاريخية وليست طرفة، وقد اثبتت نجاعتها يوم نفذ الشيخ محمد صالح الحمد، ابو خالد، حكم الاعدام برئيس تلم حيفا، حليم بسطا، فقد ركض وركضت الجموع، وضاع غريم الشرطة في بحر الحطات البيضاء، ومما له دلالة، ان المجاهد الشاب الذي نفذ حكم الاعدام بأحمد نايف (الخائن الذي وشى بالشيخ القسام وجماعته مما ادى الى حصاره واستشهاده في يعبد) تمكن من الاختفاء بعد العملية، في صفوف الشعب وبحر الحطات البيضاء ايضاً..

ومن ينبش الرموز، ويذهب الى الاعمق، يجد ان الشيخ القسام بحملته تلك على الطربوش، واستبدالها بالحطة والعقال، انما كان يقوم، موضوعياً، بتحويل ادارة النضال، من الافندية ابناء البورجوازية الى الفلاحين والفقراء، وهو الذي كان يقول: «والله اني لا ارى الخير الا في فقراء الريف وصعاليك المدن».

### من الطربوش الى المنديل

لا اظن نساء سورية، ولا سيما من دخلن العقد السادس فما فوق، ينسين ذلك اليوم المروّع من احدى سنوات السبعينات، عندما غصت شوارع المدن بفتيات يلبسن الثياب العسكرية، ويهجمن على عابرات الطريق، من غير تمييز، ينزعن المناديل والاحجبة عن الرؤوس، مع شعائر مقذعة من فئة ما تحت الزنار، ولم يفهم الناس الحكاية بادىء الأمر، الا ان تفاقم الحوادث وارتفاع وتيرة العنف، كشفا ان هناك مشكلة جدية، وأن ما يجري يدخل دائرة الخطر.. وكان على البلاد، من اقصاها الى اقصاها، ان تتمالك رباطة جأشها، وتتحمل، وتنتظر، حتى تفهم ما يجري، فقد طلقت في رأس احد الضباط النافذين، فكرة تمدين سورية، وادخالها القرن العشرين قبل غروب شمس ذلك اليوم، ولما كان المنديل والنقاب والحجاب عقبة امام ذلك الضابط الحاكم شخصيا، فقد اوعز للعسكريات المدربات، ان ينقضضن على النساء في الشوارع، ويكشفن شعورهن، لا فرق في ذلك بين شابة متدينة وعجوز تعودت ان تعتمر المنديل منذ نصف قرن.

ونتيجة للذعر الذي احدثه هذا القرار الارعن، اضطر الرئيس السوري الى اذاعة بيان بصوته، يهدىء من روع النساء المرعوبات، وينتقد ذلك السلوك الذي اعتبره فردياً ولا يمثل سلوك النظام، وقد غضب المرحوم خالد بكداش، امين عام الحزب الشيوعي السوري وقتها، فكتب في جريدة «نضال الشعب» الناطقة باسم الحزب، مقالة عرف الجمهور انه كاتبها وان لم يوقعها، ومما كتبه في تلك المقالة، ان مصطفى اتاتورك عندما قرر، في تركيا الحديثة، ان ينزع الطربوش عن رؤوس الرجال ويستبدله بالبرنيطة الاوروبية، جاء قراره، مفاجئاً، ولكنه استطاع ان يلزم الرجال بالقوة، فاختفت الطرابيش بين يوم وليلة، ولكن مأساة اتاتورك انه لم يستطع ان يغير الرؤوس التي كانت غاطسة تحت الطرابيش، وظلت على حالها وهي مزدانة بالبرانيط، وقال بكداش يومها: ان التمدن يأتي استجابة بطيئة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا يهبط بقرار عسكري او حكومي..

الطريف في الأمر ان هذه الواقعة جرت ايام الانتخابات البرلمانية–وهي انتخابات شكلية، اساسها ان الحزب الحاكم «ينتخب» المرشحين المقرر فوزهم–ولما كان الحزب الشيوعي السوري شريكاً في «الجبهة الوطنية التقدمية» التي يفترض انها تقود البلد، فقد كان امينه العام هو مرشحه لتلك الانتخابات، ولكن الذي حدث، بعد مقالة «نضال الشعب»، ان الحزب الحاكم غضب وسخط على خالد بكداش، فاخرجه من دائرة مرشحي الجبهة، اي المقرر فوزهم سلفاً، وجاء الخبثاء المتربصون والظرفاء بطبيعة الحال الى بكداش قائلين: يا ابا عمار.. يبدو ان دمقراطية هذه الجبهة مثل برنيطة اتاتورك وكان يضحك ويقول: عموماً لقد لبست الطربوش في شبابي.. فليس هذا بجديد علينا..

### من الطربوش الى الزمن

حين وصلنا تونس في النصف الاول من الثمانينات، كان مما لفت نظرنا ان الطرابيش متوفرة اكثر مما هو الامر في الشرق العربي، مع فارق هام، هو ان تلك الطرابيش، قصيرة حتى ليكاد سقفها يلتصق بالرأس، لها شراشيب او شرابيات طويلة تكاد تصل الى العنق، واكثر من ذلك فإن الاسم الشائع لذلك الطربوش العجيب هو «الشيشية»، ومع ذلك فإن ما يستوقف زائر العاصمة، ذلك التمثال المهيب للرئيس الحبيب بورقيبة، في الشارع الكبير المسمى باسمه، وقد امتطى حصاناً واعتمر طربوشا كالطرابيش العادية التي نعرفها في الشرق، ولما كنت فضولياً بطبيعتي، فقد سألت عما اذا كانت الطرابيش الشرقية معتمدة في تونس، او انه يجوز للرئيس ما لا يجوز لغيره، وقد اجابني احد المثقفين التونسيين، ان طربوشنا الشرقي كان موجوداً لديهم، وانهم كانوا يسمونه «المجيدي»، نسبة الى السلطان العثماني عبد المجيد الذي ارتبطت الليرات الذهبية باسمه، وان هذا النوع من الطرابيش قد تلاشى في تونس كما تلاشى في الشرق، اما سرّ بقاء «الشيشية» فهو ان اهل شمال افريقيا العرب، ولاسيما في تونس وليبيا، يعتبرونه من تراثهم المحلي..

وعجبت للامر، فالمعروف ان بورقيبة يعتبر مصطفى اتاتورك مثله الاول، فكيف يخالفه في مسألة الطربوش؟ واجابني صديقي التونسي: ان بورقيبة الان لا يلبس الطربوش المجيدي، ولا الشيشية التونسية، ولا البرنيطة الاوروبية، انه حاسر الرأس، وهذا ما كان سيفعله اتاتورك لو امتدّ به العمر، اما تمثال بورقيبة بالطربوش فهو للتذكير بأمجاده في نضال الاربعينات والخمسينات عندما كان الطربوش رمزاً لكمال الرجل ورجاحة شأنه قبل عقله..

والأهم من هذا كله، انه مع بداية العهد الجديد في تونس، وقيادة الرئيس زين العابدين بن علي للبلاد، لم تقم السلطة بمحو آثار الرئيس السابق، كما يفعل العسكريون في بلادنا العربية عادة، بل احتفظت للرجل بمكانته وكرامته، ولم تسحب من السوق اوراق النقد التي تحمل صورته، وان طبعت اوراقاً جديدة تستبدل صورة بورقيبة بخريطة تونس، ولاسباب انسانية، يتعلق بالوفاء اساساً، ابقى الرئيس الجديد على التمثال في المنستير، مدينة بورقيبة التي ولد فيها ويقضي ايامه الراهنة في ربوعها، اما في العاصمة فقد اختلف الأمر، وكان هذا ضروريا كلحظة تاريخية، فقد ازيح التمثال، وحلت مكانه ساعة ضخمة تتابع الوقت ثانية بثانية..

هكذا هي الدنيا.. يمضي الطربوش وتبقى دورة الزمن لتؤكد استمرار الحياة.